مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

شيرلوك هولمز

في ٧ قصص

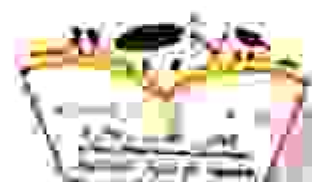
تأليف: سير آرثر كونان دويل

ترجمة: نادية فريد

مراجعة: مختار السويفي



لوحة للفنان البرتو جياكومتي



روائع الأدب العالمى للناشئين

أبي فراس

شيرلوك هولز

في ٧ قصص

تأليف: سير آرثر كونان دويل
ترجمة: نادية فريد
مراجعة: مختار السويفي



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

إشراف: حسان كمال

شيرلوك هولمز فى ٧ قصص

تأليف: سير آرثر كونان دويل

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان: محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام:
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ: هيئة الكتاب

مقدمـــة

عزيزى القارىء ..

حرصنا دائما على أن نقدم لك فى هذه السلسلة من روائع الأدب العالمي للناشئين أعمالا أدبية متنوعة أخذت مكانتها الرفيعة بين روائع الانتاج الادبى العالمى. سواء فى انجلترا وامريكا أو غيرهما من الدول الأوربية

كفرنسا وروسيا وسويسرا .. كما قدمنا لك أيضـــا بعض الأعمال الأدبية لكتاب مشهورين من الهند والصين وجنوب أفريقيا ..

ومنذ نحو خمس ســـنوات قدمنا لك « مغامرات شـــيرلوك هولمز » من تأليف الكاتب الانجليزى القدير « سير آرثر كونان دويل » ومن ترجمة الأستاذ محمد العزب موسى .. وقد لاحظنا آنذاك مدى الاقبال الشديد على الأعمال القصصية والروائية التى يقوم ببطولتها « شيرلوك هولمز » المخبر السرى الخاص والذى يبذل جهودا ذكية عقلية ونفسية فى كشف أسرار الجريمة والمجرمين وذلك تأكيدا لمبدأ تحقيق العدالة ونصرتها فى النهاية ، مهما تذرع مرتكبو الجرائم بالسبل والخطط الاجـــرامية التى تقـــوم على الخبث والمكر واللؤم والخداع .

وقد ظهرت شخصية « شيرلوك هولمز » الروائية لأول مرة سنة ١٨٩١ حين ابتدعها الكاتب الانجليزى

الشهير « **سير آرثر كونان دويل** » كبطل لأحد أعماله القصصية المثيرة التى نشــرها فى مجلة لندنية ذائعة الصيت تسمى « **ستراند مجازين** » •

ومنذ ذلك الحين انتشرت سمعة هذه الشــــخصية الذكية البوليســـية فى انجلترا ثم فى مختلف أنحاء العالم حيث ترجمت قصصها ورواياتها الى عدد كبير من اللغات •• بل لقد ظهرت فى كل من انجلترا وأمريكا وبعض دول أوربا جمعيــات واندية تســـمى نفســـها « **اصدقاء شيرلوك هولمز** » •

وكما ابتدع سير آرثر كونان دويل شخصية شيرلوك هولمز ، ابتدع أيضا شخصية « **دكتور واطســــون** » الطبيب الطيب القلب الذي زامل شيرلوك هولمز فى كل مغامراته وكان يساعده فى بحث قضـــاياه وكشـــف أسرارها •

وقد ولد « **سير آرثر كونان دويل** » فى ٢٢ مايو ١٨٥٩ ومات فى ٧ يوليو ١٩٣٠ ، بعد أن أثرى مكتبة

الأدب العالمى بعديد من المؤلفات التى كانت ومازالت تعتبر من أروع ما كتب فى فن القصـــة والـــرواية البوليسية ٠

ومن الغريب أن سير آرثر كونان دويل قد درس الطب بجامعة أدنبره ، وظل يمارس مهنته كطبيب حتى سنة ١٨٩١ ، الى أن تفرغ تماما لمهنة الأدب والكتابة القصصية والروائية ٠

ومن أشهر الروايات التى كتبها عن شيرلوك هولمز رواية « **علامة الأربعة** » ســـنة ١٨٩٠ ، و « **مذكرات شيرلوك هولمز** » سنة ١٨٩٤ ، « **عودة شيرلوك هولمز** » سنة ١٩٠٥ ، و « **عقـــدته الأخيرة** » ســـنة ١٩١٧ ، و « **قضية شيرلوك هولمز** » سنة ١٩٢٧ ٠

كذلك فقد كتب الكثير من الروايات التـــاريخية أشهرها رواية « الشركة البيضاء » سنة ١٨٩١ ٠٠ كما كتب مسرحية بعنوان « قصة واترلو » سنة ١٩٠٠ ٠٠ وبسبب مقتل ابنه فى معارك الحرب العالمية وثقل هذه

المأساة على قلبه ، انضم سير آرثر كونان دويل الى جمعيات تحضـــير الأرواح التى كانت ـ ومازالت ـ منتشرة فى بريطانيا ٠ وقد استهواه هذا المذهب فألف فيه كتابا بعنوان « تاريخ مذهب تحضير الأرواح » سنة ١٩٢٦ ٠ كما كتب قصة حياته ونشر مذكراته فى كتاب بعنوان « مذكرات ومغامرات » سنة ١٩٢٤ ٠

ونتركك الآن عزيزى القارىء مع سبع قصص من حكايات المخبر السرى الشهير « **شيرلوك هولمز** » من تاليف الكاتب الأديب الانجليزى الفذ سير آرثر كونان دويل ٠

مختار السويفى

القصــة الأولى

جمعية ذوى الرؤوس الحمراء

فى صباح يوم سبت من أيام الخريف ، ذهبت لرؤية صديقى شيرلوك هولمز فى مسكنه بشارع بيكر . ولكنه كان يستقبل ضيفا بالفعل ، رجلا شديد البدانة وذا شعر أحمر لامع وغير عادى وله وجه أحمر ايضا .

فقلت وانا اعتذر عن المقاطعة :

ـ سأنصرف ياهولمز ، اذ يبدو انك مشغول .

ولكنه اجابنى مرحبا وهو يغلق الباب :

ـ انك لم تكن لتتخير وقتا أفضل من ذلك ياعزيزى واطسون ٠

فقلت :

ـ كنت أخشى أن تكون مشغولا ٠

ـ انني فعلا مشغول ياواطسون ، مشغول جدا ٠

ـ اذن سأنتظر فى الغرفة المجاورة ٠

ولكن هولمز قال وهو يستدير نحو ضيفه :

ـ لا بالتأكيد ، فالدكتور واطسون قد قام بمساعدتى في العديد من أكثر قضاياى نجاحا ، ولا اشك يامستر ويلسون فى أنه سيكون عظيم الفائدة بالنسبة لنا فى هذه الحالة أيضا ، ياواطسون أقدم لك مستر جابيز ويسلون ٠

واذا بالسيد البدين يهم بالقيام من كرسيه وينحنى

لى وهو يحيطنى بنظرة تساؤل خاطفة من خلال عينيه الصغيرتين العميقتين ، ثم جلسنا جميعا •

ثم استطرد هولمز قائلا :

ـ أرجو أن تبدأ فى سرد موضوعك مرة أخرى من أجل الدكتور واطسون يامستر ويلسون ، ولا تغفل عن ذكر أى تفاصيل فهى كلها مشوقة « للغاية » ، وأعتقد أن قضيتك تعتبر قضية بالغة الغرابة •

واذا بمستر ويلسون يلتقط جريدة قديمة قذرة من جيبه ثم بدأ فى البحث بين الاعلانات التى بها •

ولاحظ هولمز أننى أراقب الرجل العجوز واستنتج الأفكار التى يمكن أن تراودنى فقال :

ـ انك تحاول أن تكون مخبرا ياواطسون ، حسنا فان مظهر مستر ويلسون ينبىء عن نوعية حياته السابقة ، فمن الواضح انه كان عاملا ، وانه كان يكثر من الكتابة فى الفترة الأخيرة بالاضافة الى أنه كان فى الصين !

فقال مستر ويلسون وهو فى شدة الاندهاش :

ـ ولكننى يامســـتر هولمز لم أقل لك أيا من هذه الأشياء ، فكيف تبينت مثلا اننى كنت عاملا ؟ فانت محق فى ذلك اذ اننى كنت نجارا فى شبابى ٠

فأجابه هولمز :

ـ يداك تدلان على ذلك يامستر ويلسون ، فيدك اليمنى أضخم من اليسرى لأنك تستخدمها لذا فهى اكثر نموا ٠

ـ ولكن كيف تسنى لك معرفة اننى كنت أكتب كثيرا مؤخرا ؟

ـ لقد نظرت لأكمامك فلاحظت أن الكم الأيمن يكاد أن يكون باليا من ناحية الرسغ ، أما الكم الأيسر فهو ممزق تقريبا فى منطقة ثنية الذراع ، اذ رسغك الأيمن وذراعك الأيسر فى احتكاك بأحد المكاتب مما يدل على انك بالتأكيد تقوم بالكتابة ٠

ـ وكيف استنتجت أننى كنت فى الصين ؟

ـ يوجد على رسغك الأيمن وشم لسمكة قرمزية وهذا النوع الغريب من الوشم لا يتم الا فى الصين فقط ، لقد درست أنواع الوشم يامستر ويلسون ، بل اننى فى الواقع كتبت كتابا عنه ، كما اننى أستطيع أن ألمح احدى العملات الصينية فى سلسلة ساعتك ، لذا كان من السهل جدا استنتاج انك كنت فى الصين !

فانفجر مستر ويلسون فى الضحك وهو يقول :

ـ وأنا الذى تصورت انك قد قمت بعمل خارق .

فاستدار هولمز نحوى قائلا :

ـ كان الأجدر بى الا أوضح شيئا ، حسنا يامستر ويلسون هل وجدت ذلك الاعلان ؟

فأجاب ويلسون وهو يشير بأصبع غليظ احمر الى موضع فى الجريدة :

ـ نعم ، لقد وجدته الآن ، هاهو ياسيدى !

التقطت الصحيفة التى كان يرجع تاريخ صدورها الى شهرين ماضيين وقرات الاعلان التالى :

جمعية ذوى الرؤوس الحمراء : مطلوب رجل لوظيفة جديدة لهذه الجمعية التى بدأها الراحل ايزيكيا هوبكنز من لبنان فى بنسيلفانيا ، وهو قد ترك مالا أوصى به في وصيته ، والمرتب اربعة جنيهات فى الأسبوع ، والعمل غاية فى السهولة ، ويمكن لأى رجل ذى شعر أحمر وبصحة جيدة بشرط الا يقل سنه عن ٢١ سنة أن يتقدم لهذه الوظيفة ، على أن يحضر الى مكاتب جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ـ ٧ بوبس كورت بشارع فليت ـ لندن ، وذلك فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين .

دانكان روس

فأخذت أتساءل عن معنى ذلك بعد أن قرأت هذا الاعلان الغريب مرتين .

واذا بهولمز يضحك فى سعادة قائلا :

ـ انه غير طبيعى الى حد كبير ياواطسون ، أليس كذلك ؟ والآن يامستر ويلسون أرجو أن تقص علينا كل

شيء عن نفسك وعن منزلك وعن خدمك ، وعن هذه الجمعية لذوى الرؤوس الحمراء ٠

فقال ويلسون :

ـ حسن ياسادة أننى أعمل فى رهن الأشياء هنا فى لندن فى ميدان ساكس ـ كوبارج ، وهو ليس بالعمل المتسع ويعطى بالكاد ربحا الآن ، وقد اعتدت على استخدام رجلين لمعاونتى فى متجرى ، ولكننى الآن استخدم رجلا واحدا فقط ، ولحسن الحظ انه مستعد لقبول نصف الأجر فقط لأنه يتطلع الى تعلم المهنة ٠

فتساءل شيرلوك هولمز :

ـ وماهو اسم هذا الصبى المفيد ؟

ـ « اسمه فينسينت سبولدنج ، ولكنه ليس بصبى ولا أعرف عمره تماما الآن ، وهو عامل ممتاز يامستر هولمز ، ويستطيع أن يحصل على أجر أكبر فى محل آخر ، ولكنى لن أقول له ذلك ٠

فأجابه هولمز :

ـ بالطبع لا ، ولكن أليست هناك أية عيوب لهذا الشخص الرائع ؟

ـ عيبه الوحيد هو حبه للتصوير ، انه يقضي وقتا طويلا فى الانشغال بالتحميض والطبع ، انه يشـــبه الأرنب داخل جحره ،و لكن باستثناء ذلك يعتبر عاملا جيدا ٠

فساله هولمز :

ـ هل لديك خدم ؟

ـ لا يوجد سوى فتاة تبلغ من العمر حوالى اربعة عشر عاما وتقوم بالطهى وتنظيف المنزل وسبولدنج وأنا نعتبر كل الأفراد الذين يعيشـــون فى المنزل ، اذ أن زوجتى قد توفيت ولم أنجب أولادا ، وفى صباح يوم اثنين منذ حوالى شهرين جاء سبولدنج الى مكتبى وهذه الجريدة فى يده وقال لى :

ـ من المؤسف أن شعرى ليس بأحمر ٠

فسألته لماذا يقول ذلك فقال :

ـ حســـنا ، هاهو اعلان جديد من جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ولو كان شعرى أحمر لاستطعت أن أحصل على وظيفة سهلة ومبلغ كبير •

فسألته عن هذه الجمعية فأجابني مندهشا :

ـ انها جمعية لرجال من ذوى الشـــعر الأحمر ويمكنك أن تتقدم أنت أيضا لهذه الوظيفة •

فسألته عن المرتب فقال :

ـ أربعة جنيهات في الأسبوع ، وحجم العمل يمكن أن يكون ضئيلا جدا ، ويمكنك بسهولة استكمال عملك هنا أيضا •

ففكرت فى أن مائتى جنيه فى السنة ستكون مفيدة جدا لى ، لذا فقد سألت سبولدنج أن يزيدنى ايضاحا فى هذا الشأن ، فاطلعنى على الاعلان ، وقال انه يعتقد أن تمويل الجمعية يأتى من خـــلال رجل أمريكى بالغ الثراء يدعى ايزيكيا هوبكنز ، وانه كان رجلا غريب الأطوار ، وذا شعر أحمر ، ولما توفى أوصى بكل أمواله

لصالح حلف الرؤوس الحمراء ، وقد ذكر في وصيته أن الأموال يجب أن تستخدم لتوفير وظائف سهلة لرجال من ذوى الشعر الأحمر ، فقلت لسبولدنج ان هناك المئات من الرجال ذوى شعر أحمر ولن تتاح لى فرصة لو تقدمت لهذه الوظيفة ولكنه بادرنى باعتقاده اننى مخطىء لأن جمعية ذوى الشعر الأحمر لا تمنح وظائفها الا لرجال ولدوا في لندن ، اذ أن ايزيكيا هوبكنز نفسه قد ولد هنا ، وأحب المكان العتيق ، كما أن الجمعية لا تقبل رجالا من ذوى الشعر الأحمر الفاتح أو الداكن ، ولكن الرجال من ذوى الشعر الأحمر اللامع فقط هم الذين يمكنهم الحصـــول على هذه الوظائف ، لهذا يمكننى الحصول على الوظيفة بسهولة اذا تقدمت اليها .

وفى النهاية قررت أن آخذ بنصيحة سبولدنج ، اذ أنه يعرف الكبير عن جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ، وفكرت أنه قد يكون مفيدا لى فى مـــكاتب الجمعية ، لذا فقدت طلبت منه أن يغلق المتجر وأن يتوجه معى على الفور ، فرحب بشدة للحصـــول على اجازة ،

وسرعان ما كنا فى طريقنا الى بويس كورت ، واذا بهذا الشارع الصغير يا مستر هولمز يبدو وكأنه سلة للبرتقال ،كان الشارع يمتلىء تماما برجال من ذوى الشعر الأحمر بمختلف الدرجات ، الا انه لن يكن هناك الكثيرون مثلى من ذوى الشعر الأحمر البراق بالفعل ، واذا بسبولدنج ينحنى ويشق براســه الطريق خلال الزحام ويجذبنى من بين كل هؤلاء الناس نحو سلالم المكتب ، وهناك لاحظت وجود رجال يستعدون للدخول يملأهم الأمل ، بينما آخــرون يخرجون وقد غمرهم اليأس ، وسرعان ما أصبحنا داخل المكتب ولم يكن بالمكتب سوى القليل من الأثاث ، مجرد مقعدين ومنضدة مطبخ وصندوق للكتب ، وكان هناك رجل ضئيل الحجم يجلس على المنضدة ، وكان شعره أشد احمرارا من شعرى ، وكان يقول بضــع كلمات لكل رجل يدخل ، ودائما يستطيع أن يجد مبررا لأن يقول « لا » ، الا انه عندما جاء دورى كان الرجل الضئيل أكثر توددا وقام باغلاق الباب حتى يتمكن من الحديث مع ســبولدنج

ومعي على انفراد ، حيث قال له فينسينت سبولدنج ان هذا هو مستر جابز ويلسون وهو على اســـتعداد لقبـــول الوظيفة فى جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ، فأجاب الرجل الآخر بأن شعرى بالتأكيد بالغ الظرف وتساءل ان كان حقيقيا لأنهم تعرضـــوا للتضليل عدة مرات من قبل ، ويجب أن يكونوا فى غاية الحرص ، وفجأة أمسك بشعرى بكلتا يديه وجذبه حتى صرخت من الألم ، ثم قال لى ان دمـــوعى هذه حقيقيـــة لذا سيمنحنى الوظيفة ، وهنأنى على نجاحى وصـــافحنى بحرارة ثم اتجه نحو النافذة وصاح فى الرجال بالخارج معلنا انه قد تم العثور على الرجل المناسب ويمكنهم الانصراف جميعا ، وسرعان ما انصرف الرجال ولم يبق فى بويس كورت من ذوى الشـــعر الأحمر سوى الرجل الضئيل وأنا ، فقال لى انه يدعى دانكان روس وانه سكرتير الجمعية ، وأن علينا أن نتحدث الآن عن واجباتى الجديدة ، وسألنى متى أستطيع أن أبدأ العمل فأجبته أن الأمر قد يكون مخيبا بعض الشيء ، اذ أن

لدى بالفعل عملا فقاطعنى فينسينت قائلا انه لاداعى للقلق لأنه يستطيع رعاية عملى فسألت مستر روس عن عدد ساعات العمل فاخبرنى انها من الساعة العاشرة صباحا وحتى الثانية بعد الظهر .

وكما تعلم يا مستر هولمز أن معظم أعمال الرهونات تتم عادة فى المساء ، لذا يمكننى بسهولة العمل لدى مستر روس فى الصباح الى جانب معرفتى بان سبولد.. ج ممتاز وانه يستطيع أن يدير كل الأعمال أثناء الـ..ر ، فأخبرت مستر روس ان ساعات العمل لديه تـ.اسبنى تماما بالفعل ، ثم سألته عن طبيعة العمل فأجابنى أن على وقبل كل شىء أن أبقى فى هذا المكان من الساعة العاشرة وحتى الساعة الثانية ، واننى اذا تركت المبنى سأخسر الوظيفة الى الأبد ، واننى حتى لو كنت مريضا فان على أن أبقى فى المكتب ، اذ أن الجمعية لن تقبل أى عذر آخر وان ايزيكيا هوبكنز الذى أنشأ الجمعية قد وضع كل القواعد فى وصيته ، وان عملى هو نسخ الموسوعة البريطانية ثم اشار اليها فى صندوق الكتب

قائلا اننى يجب أن أحضر معى قلمى الخاص بالاضافة للحبر والورق اللازم ثم سألنى ان كنت مستعدا للعمل اعتبارا من الغد فأجبته بتأكيد الموافقة ، فنهض مودعا وقال وهو ينحنى انه فى غاية السرور لأننى قد حصلت على هذه الوظيفة الهامة ، ثم انصرفت عائدا للمنزل مع سبولدنج وقد اجتاحنى شعور غامر بالبهجة ازاء حظى الحسن .

وفى اليوم التالى ابتعت بعض الأوراق وتوجهت الى بوبس كورت ، وبالرغم من أننى كنت أشعر أن جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ماهى الا نكتة لطيفة الا أن كل شىء كان على مايرام . فقد قام مستر روس بارشادى الى بداية الحرف « أ » فى الموسوعة ثم انصرف ، وفى الساعة الثانية عاد مرة أخرى وهنأنى على القدر الذى قمت بكتابته ثم أغلق المكتب بعد انصرافى .

واستمر الأمر على هذا المنوال مايزيد على ثمانية اسابيع ، كنت يامستر هولمز اصل كل صباح فى الساعة

العاشرة وانصرف فى الســاعة الثانية ظهرا ، وكان مســتر روس يعطينى أربعة جنيهات من الذهب كل أســبوع ، وقد اعتاد فى البداية على أن يحضــر الى المكتب بضع مرات كل يوم ، ولكنه بعد فترة أصبح لا يأتى مطلقا ، الا أننى بالطبع لم أكن أغادر الغرفة على الاطلاق لأننى لا أريد أن أفقد وظيفتى .

وقمت بنســخ بيانات الحرف « أ » فيما يختص بالمثلين والأبحاث والزراعة والتفاح وأشــياء كثيرة أخرى ، وقد انفقت ثروة صغيرة على الورق حيث ملأت رفا كاملا تقريبا بما نسخته ، وكنت أتطلع الى سرعة البدء فى الحرف « ب » الا أن كل شىء انتهى فجأة !

فتساءل هولمز :

– انتهى ؟!

– نعم ياسيدى حدث ذلك فى صباح اليوم عندما توجهت الى عملى كالمعتاد فى الساعة العاشرة ، وجدت

ان الباب لازال موصـــدا وقد ثبتت عليه بطاقة فقمت بانتزاعها وهاهى البطاقة ..

واطلعنا مستر ويلسون على بطاقة مربعة صغيرة وقد كتب عليها أحدهم : « جمعية ذوى الرؤوس الحمراء لم يعد لها وجود »

« ٤ اكتوبر »

لم اتمالك نفسى أنا وهولمز من الابتســـام ، فقال هولمز :

– وماذا فعلت عندئذ ؟

– طرقت أبواب كل المكاتب الأخرى ، ولكن لم يكن هناك من يعرف شخصا يدعى دانكان روس ، لذا توجهت لرؤية مالك المبنى ولكنه أخبرنى هو الآخر انه لم يسمع عن جمعية ذوى الرؤوس الحمراء أو سكرتيرها مستر روس . فسألته عن السيد ذى الشعر الأحمر فأخبرنى أن اســـمه وليام موريس وانه محام الا انه قد رحـــل بالأمس ، فســـألته مـــكانه فأخبرنى انه فى مكاتبه

الجديدة واعطاني هذا العنوان ـ ١٧ شارع كنج ادوارد ·

وذهبت يامستر هولمز الى شارع كنج ادوارد فوجدت أن الرقم ١٧ عبارة عن مصنع صغير ، ولايوجد هناك شخص يدعى موريس أو روس يعمل هناك ·

فتساءل هولمز :

ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟

ـ عدت للمنزل في ميدان ساكس ـ كابورج وسألت فينسينت سبولدنج النصيحة ، ولكنه لم يستطع أن يمدني بأى نصيحة مفيدة ، ولم يزد أنقال ان مستر روس سيكتب لى بالتاكيد ·

ولكننى لم أقتنع يامستر هولمز اذ أننى لا أريد أن أفقد جنيهاتى الأربعة الأسبوعية لذا فقد أتيت اليك ·

فاجاب هولمز :

- لقد تصرفت بحكمة يامستر ويلسون ، فان هذا الأمر يمكن أن يكون بالغ الخطورة !

فقال ويلسون :

- بالغ الخطورة بالتأكيد ، ويبدو انني قد فقدت أربعة جنيهات فى الأسبوع .

فأجابه هولمز :

- يجب الا تشكو يامستر ويلسون ، فانك فى الواقع قد ربحت اثنين وثلاثين جنيها ، ويجب عدم اغفال انك قد اكتسبت الكثير من المعرفة فيما يتعلق بالموضوعات التى تبدأ بالحرف « أ » .. والآن اسمح لى أن أوجه اليك بعض الأسئلة ، أولا منذ متى يعمل فينسينت سبولدنج كبائع لديك ؟

- منذ حوالى ثلاثة اشهر .

- وكيف حصل على الوظيفة ؟

- من خلال اعلان بالصحف

- وهل تقدم آخرون للوظيفة ؟

- نعم عشرة أو أحد عشر رجلا ·

- ولماذا وقع اختيارك عليه ؟

- لأنه كان يبدو شابا متزنا ، كما انه كان مستعدا لقبول نصف الاجر ·

- هل يمكنك أن تصفه لي ؟

- انه ضئيل الجسم ولكنه ليس بالنحيف ، وهو سريع الحركة ووجهه خال من الشعر بالرغم من ان عمره لا يقل عن ثلاثين عاما ، كما أن لديه علامة بيضاء فوق عينيه تماما ·

وفجأة بدت الاثارة الشديدة على هولمز وصرخ قائلا :

- علامة بيضاء ·· وهل لديه ايضا ثقوب في اذنيه لارتداء الأقراط ؟

- نعم لديه ذلك !

فقال هولمز وهو ينهض :

- كنت اعلم ذلك ، حسنا يامستر ويلسون ، سافكر في هذا الأمر • واليوم هو السبت وارجو ان يتضح كل شيء بحلول يوم الاثنين •

وما أن انصرف مستر ويلسون حتى سألني هولمز :

- ماهي وجهة نظري بالنسبة لجمعية ذوي الرؤوس الحمراء ياواطسون ؟

- لا اســتطيع أن اتكهن ياهولمز ، فالأمر غامض تماما بالنسبة لي •

- فعلا ، ويجب أن اعمل جاهدا ياواطسون •

فسألته :

- وماذا ستفعل ؟

- اول الأمر سأقوم بتدخين غليوني لمدة خمسين دقيقة وأرجو الا تتحدث الي خلال هذه الفترة •

ثم جلس وبدأ يدخن غليونه القديم ذا اللون الأسود، وجلسنا فى صمت امتد طويلا حتى تصورت أن هولمز قد استغرق فى النوم واذا به يقفز فجأة ويضع غليونه فوق المنضدة وهو يقول :

ـ يوجد عزف موسيقى فى قاعة ســـتانواى هذا المساء ، هل نذهب ونستمع اليه ؟

فأجبته قائلا :

ـ حسن ، فاننى خال تماما اليوم .

ـ حسن ، ضع قبعتك وهيا بنا فاننى أريد أن ألقى نظرة على ميدان ساكس ـ كابورج قبل أن نذهب الى قاعة ستانواى كما اننا يجب أيضا أن نتناول شيئا من الطعام ، هيا بنا .

واستخدمنا قطار الأنفاق فى جزء من الطريق ثم مشينا على الأقدام فى الجزء الآخـــر ، وكان ميدان ساكس ـ كابورج يتميز بالكآبة والفقر وتنتشر به بعض الحشائش القذرة ولاحظت وجود رائحة دخان ، وكانت

هناك أربعة صفوف من المنازل الصغيرة ذات المخزن والطابقين والتي شيدت من طوب القرميد الأحمر ، وكان أحد هذه المنازل له نافذة وباب لمتجر بالاضافة لباب المنزل نفسه ، ولاحظنا وجود لافتة داكنة فوق النافذة مدون عليها بحروف بيضاء اسم « جابيز ويلسون » كما كانت هناك أيضا الكرات الذهبية الثلاث والتى تمثل شعار متاجر المرابين ، وتوقف هولمز أمام منزل ويلسون وأخذ ينظر اليه ، ثم أخذ يطرق بعصاه على أحجار الطريق الضخمة عدة مرات بشدة ، وفى النهاية اتجه نحو الباب ، واذا بشاب يفتح الباب فى الحال فبادره هولمز متسائلا :

ـ هل يمكنك أن تدلنى على الطـــريق الى مكتب البريد العمومى من فضلك ؟

ولم يتردد المرابى لحظة واحدة فقال وهو يشـــير نحو المكان :

ـ سر فى هذا الطريق ثم انحدر خلال الشـــارع

الثـالث على اليمين حيث يوجد مكتب البريد الرئيسى في الشارع الرابع على الشمال ٠

وقال هولمز ونحن نسير مبتعدين :

ـ رجل حاذق ، وفى اعتقادى انه لايوجد ســوى ثلاثة رجال فقط فى لندن أكثر منه مهارة بينما توجد اثنان فقط اكثر منه جراءة ٠

فسألته :

ـ هل تعرفت على وجهه ؟

ـ ياعزيزى واطسون اننى لم أنظر الى وجهه

ـ اه ، اذن لماذا طرقت على الباب ؟

ـ لاننى أردت ان أنظر الى موقــع الركبتين من سرواله ٠

ثم رفض ان يقول شيئا بشأن هذا الموضوع أو حتى يوضح السبب فى قيامه بطرق الأرض بعصــاه ولكنه اكتفى بان قال :

ـ لقد شاهدنا ميدان ساكس ـ كابورج والآن دعنا نلقى نظرة على الطرق التى خلفه .

وتركنا الميدان الصغير وسرعان ما وصلنا الى واحد من أكثر الشوارع الرئيسية جلبة فى لندن . على أن بعض المساكن والمتاجر فى هذا الشارع الرئيسى لا يفصلها عن الميدان الهادىء الصغير الذى يقع خلفها سوى بعض الحدائق والساحات .

وكان هناك متجر للحلوى وآخر لبيع الجرائد بالاضافة لفرع من فروع بنك المدينة الى جانب احد المطاعم الايطالية وايضا مصنع صغير لصنع العربات . وعندئذ قال هولمز :

ـ لقد انجزنا عملنا الآن ياواطسون ، دعنا نتناول العشاء ثم نذهب لنسمع بعض الموسيقى .

واثناء انصرافنا من قاعة ستانواى بادرنى هولمز بقوله :

ـ أعتقد انك لابد أن تنصـــرف الآن الى زوجتك ياواطسون ؟

فاجبته :

ـ نعم ، يجب أن أتوجه الى المنزل •

ـ وأنا أيضا على أن أقوم بعدة أشياء ، فهذا الأمر المتعلق بميدان ساكس ـ كابورج جد خطير ، وهناك جريمة خطيرة قد تم التخطيط لها ، ولكننى أعتقد اننا يمكن أن نمنعها وسأحتاج الى معونتك الليلة •

ـ فى أى وقت ؟

ـ فى تمام الساعة العاشرة •

ـ ساحضر الى شارع بيكر فى الساعة العاشرة •

ـ حسن ، ولكن ياواطسون قديكون هناك شىء من الخطر ، لذا أرجوك أن تحضر مسدسك •

ثم لوح بيده واختفى بين الزحام •

وما أن وصلت الى شارع بيكر فى الساعة العاشرة حتى وجدت عربتين تقفان أمام المنزل ، وكان هنـــاك ضيفان احدهما ضابط شرطة ويدعى بيتر جونز والآخر رجل متجهم طويل ونحيف يرتدى الملابس الداكنة فى أناقة واضحة .

فبادرنى هولمز قائلا :

ـ واطسون ، أعتقد انك تعرف مستر جونز ، دعنى أقدم لك مستر مرى ويذر ، مدير بنك المدينة والحى والذى سوف ينضم الينا فى مغامرتنا .

فقال مستر ميرى ويذر :

ـ اتمنى ألا تكون مخطئا فى شكوكك يامستر هولمز فاننى مواظب على لعب الورق مع اصدقائى مساء كل سبت وذلك منذ سبعة وعشرين عاما وهذه هى المرة الأولى اليوم التى اتغيب فيها عنهم ، لذا أرجو الا تكون قد ضيعت وقتى .

فاجابه هولمز :

ـ أعتقد أنني أستطيع أن أعدك بليلة مثيرة يامستر مرى ويذر فانك ستقوم بانقاذ ثلاثين الف جنيه اما انت ياجونز فستقوم بالقبض على المجرم الذى تحاول العثور عليه منذ أعوام !

فقال جونز :

ـ نعم ، جون كلاى ، القاتل والمزور واللص ، وهو مجرم شاب يافع الا انه من أمهر وأخطر اللصوص فى كل انحاء انجلترا ، وهو لم يكن فى البداية لصا ، فهو خريج جامعة اكسفورد ، كما أن جده كان شقيق الملك

فنظر هولمز الى ساعته ثم قال :

ـ والآن ياسادة حان وقت الأنصراف ، هل تسمح يامستر مرى ويذر بالذهاب مع مستر جونز فى العربة الأولى وسنلحق بكما أنا وواطسون فى العربة الأخرى •

ولم يتحدث هولمز الا قليلا خلال رحلة العربة الطويلة، ولكنه بدلا من ذلك أخذ يدندن ببعض النغمات الموسيقية التى استمعنا اليها فى قاعة ستانواى هذا المساء •

وأخيرا وصلت العربتان الى بنك المدينة فى الشارع الرئيسى بالقرب من ميدان ساكس ـ كابورج ، واستخدم مستر مرى ويذر مفاتيحه الخاصة ثم قادنا خلال عدة أبواب وعبر ممرات عديدة مظلمة . ثم توقف لانارة مصباح زيتى ثم اصطحبنا الى مخزن ضخم حيث لاحظت رائحة التراب المنتشرة ، وكانت هناك مجموعات من الصناديق المتينة ، فتناول هولمز المصباح ورفعه قائلا :

ـ على الأقل السقف قوى .

فاجابه مستر مرى ويذر وهو يضرب بعصاه :

ـ وكذلك الأرض أيضا !

ثم صرخ فى دهشة قائلا :

ـ آه ان الصوت يبدو مجوفا تماما .

فقال له هولمز :

ـ أرجو أن تتحدث بهدوء أكثر من ذلك فان كل فرصنا ستضيع لو سمعنا اللصوص ، هل تتفضل بالجلوس على أحد هذه الصناديق ولا تتدخل ؟

فجلس مستـــتر مرى ويدر فى طاعة وقدبدا عليه شىء من الخجل ، فوضع هولمز المصباح على الأرض ثم التقط عدسة مكبرة من جيبه وركع على ركبتيه وبدأ في فحص الشقوق التى تتخلل أحجار الأرض الضـــخمة وبعد بضع لحظات قفز وهو يقول :

لن يحدث شىء حتى منتصف الليل ، لن يتمكن اللصـــوص من القيام بعمل أى شىء قبـل أن يذهب المرابى العجوز للنوم ، وعندما يســتقر فى الفراش سيتصرفون بسرعة حتى يمكنهم اكتســـاب مزيدا من الوقت يساعدهم على الهرب .

فتساءلت قائلا :

ـ ماذا يوجد داخل هذه الصناديق ؟

فقال هولمز :

ـ سيخبرك مستر مرى ويذر عن ذلك .

فاجاب المدير هامسا :

- انه ذهبنا الفرنسي ، هذه الصـــناديق تحتوى على ثلاثين الف جنيه وقد استمرناها منذ بضعة أشهر مضت من بنك فرنسا .

فقال هولمز وهو يطفىء المصباح :

- والآن ياسادة يجب علينا أن ننتظر فى الظلام فلن يلبث أن يحضر اللصوص الى هنا ، لذا يجب علينا الاختباء خلف الصناديق وعندما يظهر اللصوص سيكون علينا وبمنتهى البساطة أن ننقض عليهم ، وهم رجـال فى منتهى الخطورة ، لذا يجب أن نتصرف بسرعة . ويجب ياواطسون أن تطلق النار عليهم اذا أطلقوا النار علينا ..

فوضعت مسدسى على قمة الصـــندوق ليكون فى متناول يدى واستطرد هولمز قائلا :

- هناك طريقة واحدة للهرب بالنسبة لهم ، من الخلف خلال المنزل، ثم الى ميدان ساكس كابورج ، هل فعلت ماطلبته منك ياجونز ؟

ـ نعم يامستر هولز هناك ثلاثة من رجال الشرطة ينتظرون خارج منزل مستر ويلسون •

ـ حسنا والآن علينا أن ننتظر فى سكون •

ولبثنا منتظرين حوالى الساعة والربع ولكنها بدت لنا أكثر طولا ونحن فى الظلام وشعرت بأن ساقى قد تيبستا من التعب وأنا أسمع بوضوح الأنفاس المختلفة لزملائى الثلاثة ، وفجأة لمحت خطا رفيعا من الضوء يظهر خلال الأرض ثم اندفع حجر ضخم من الأرض الى أعلى ، واذا بخيط الضوء يزداد اتساعا وبريقا ورأيت يدا تظهر ولكن الحجر سرعان ما هبط فى هدوء مرة أخرى ولم يعد يظهر هناك سوى خط الضوء الرفيع خلال الشق •

وفجأة اندفع الحجر الضخم لأعلى مرة أخرى ولكن بقوة أكثر ، فأحدث صوتا وضوضاء عالية وهو ينقلب على أحد جانبيه واذا بوجه يطل وتبينت انه وجه البائع فى متجر المرابى ، وأخذ الشاب يتطلع حوله ثم جذب

نفسه للخارج الى المخزن وبدأ يساعد رجلا آخر على التسلق من الفجوة وكان كل من الرجلين ضئيل الجسم ، ولكن الرجل الثانى كان ذا شعر أحمر براق ٠

اندفع شيرلوك هولمز للأمام وامسك بالرجل الأول الذى صرخ فى زميله قائلا :

ـ اقفز فىالفجوة مرة أخرى يا أرشى ٠

وما أن بدأ الرجل فى الانحدار مرة أخرى حتى سمعت صـــوت تمزق على أثر امســـاك جونز به من سترته ٠

وكان الرجل الذى يعمل مع المرابى ممسكا بمسدس فى يده عندئذ ولكن عصا هولمز أطاحت بالمسدس الى الأرض وهو يقول :

ـ لا يامستر كلاى ، لامخرج لك !

فأجاب اللص :

ـ لا ، لقد أمسك بى ولكن صديقى قد هرب بالرغم من أن ضابط الشرطة لديه جزء من المعطف فى يده

فقال هولمز :

ـ هناك ثلاثة رجال شرطة ينتظرون صديقك خارج منزل مستر ويلسون .

ـ أوه قد يبدو أنك قد قمت بعمل كل شيء على الوجه الأكمل ويجب أن أهنئك !

فأجابه هولمز :

ـ وأنا بدورى يجب أن أهنئك على فكرتك بشأن جمعية ذوى الرؤوس الحمراء فهى فكرة جديدة ومؤثرة .

فقال جونز لكلاى :

ـ ناولنى يديك لأننى سأقوم الآن بوضع الأغلال

فبادره السجين قائلا :

ـ لا تلمسنى بيديك القذرتين ، إننى حفيد شقيق الملك ، وعليك أن تقول لى دائما « ياسيدى » أو « من فضلك » .

فاجابه جونز مبتسما :

ـ حسن ، ياسيدى ، من فضلك اصعد معى ياسيدى ثم سنستقل عربة ياسيدى لنصحبك الى قسم البوليس

فقال كلاى :

ـ ذلك افضل !

ثم انحنى لمستر مرى ويذر ولهولمز ولى ٠٠ وسار فى هدوء مبتعدا مع جونز ٠

وبعد ذلك استطرد هولمز قائلا :

ـ بالطبع ، لم يكن من الصعب استنتاج الغرض من جمعية ذوى الرؤوس الحمراء فكلاى وصاحبه ذلك الرجل الذى يطلق على نفسه اسم دانكان روس ، كانا يريدان ان يبعدا مستر ويلسون بعيدا عن متجره عدة ساعات يوميا ٠

فسألته :

ـ ولكن كيف عرفت انهم كانوا يخططون لعملية سطو بنكية ؟

ـ كلاى كان يفعل شيئا ما فى مخزن مستر ويلسون شيئا يستغرق عدةساعات يوميا لعدة أسابيع ، والتوضيح الوحيد هو انه كان يحفر نفقا يؤدى الى مبنى آخر ، وقد أصابتك الدهشة من قيامى بالنقر على الأرض فى ميدان سكس ـ كابورج ، حسن فقد أردت أن أعرف ان كان النفق أمام المنزل ، ولكنه لم يكن هناك، فقد كان صوت نقر عصاى مكتوما لا مجوفا ، ولذلك فقد قرعت جرس الباب ولم أكن أريد أن أرى سروال سبولدنج ، فالركبتان ياواطسون كانتا باليقين الى حد ما ، بالاضافة الى شدة قذارتهما ، ووجود بقع بنية اللون من الأرض ، وعندما اكتشفت وجود بنك المقاطعة خلف منزل المرابى تماما تبين لى كل شىء .

فسالته :

ـ ولكن كيف علمت أن عملية السطو ستتم الليلة ؟

ـ حسنا ، عندما أغلقوا مكتب جمعية ذوى الرؤوس الحمراء ، كان ذلك دليلا على عدم اهتمامهم

بوجود أو غياب مستر ويلسون بعد ذلك ، لذلك تبينت أن النفق قد انتهى اعــداده ، ولــكن كان عليهم أن يستعملوه سريعا والا فقد يكتشفه أحد آخر ،كما أن يوم السبت يمكن أن يكون من أفضل الليالى بالنسبة لهم ، لأن عملية الســطو لن تكتشف حتى صباح يوم الاثنين ، لذا علمت أن كلاى وصـــديقه سيحضران الليلة !

القصـــة الثانية

الرجل ذو الشفة المقلوبة

كان مستر ايزا ويتني من مدمني مخدر الأفيون ولم يتمكن من التخلص من هذه العادة القاتلة ، وكان مستر ايزا رجلا وسيما فى يوم من الأيام ، أما الآن فان الناس لا تملك سوى أن تشفق علىهذا الشخص المنحنى الظهر والسيىء الحظ صاحب الوجه الأصفر الضعيف ، والذى أصبح مخدر الأفيون هو متعته الوحيدة بالرغم من الدمار الذى سببه له هذا المخدر .

وفى ليلة من ليالى شهر يونيو ، وقد حان وقت النوم عندما سمعت جرس الباب ، فقمت واقفا من مقعدى بينما نحت زوجتى مارى تطريزها جانبا وهى تقول فى ضيق :

ـ أحد المرضى ! وفى هذه الساعة !

وتناهى الى أسماعنا صوت الخادم يتحدث الى شخص ما بعد أن فتح له الباب ، وبعد لحظة اندفع باب حجرة جلوسنا ودلفت سيدة ترتدى نقابا أسود فوق وجهها واندفعت تقول ٠

ـ ارجو أن تغفر لى زيارتى لك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ٠

واذا بالسيدة لا تتمكن من السيطرة على مشاعرها فاندفعت تعدو الى الأمام وألقت بذراعيها حول رقبة مارى ثم انخرطت فى بكاء مرير على كتف زوجتى وأخذت تقول :

ـ آه ، اننى فى مشكلة كبيرة ، واحتاج للمساعدة بشدة ٠

فقالت زوجتى :

ـ لماذا ؟

ثم جذبت زوجتى نقاب الزائرة وقالت :

ـ انها كات ويتنى ، لقد فاجأتنى حقا ياكات ، لم اكن أعرف من أنت عندما وصلت ٠

ـ لم أعرف كيف أتصرف ، لذلك حضرت اليك مباشرة ٠

وهذا مايحدث لنا دائما اذ أن الأشـــخاص الذين يقعون فى مشكلة سرعان مايهرعون الى زوجتى تماما مثل الطيور التى تتجه نحو المنزل المضىء ٠

فقالت مارى :

ـ نحن ســـعداء جدا لرؤيتك ، والآن علينا أن نتناول بعض المشروبات ونجلس هنا فى راحة وتقصى علينا الأمر باكمله ، أم تريدين منى أن أرسل جون الى الفراش ؟!

ـ أوه ، كلا ، كلا ، اننى أتطلع الى مشورة الطبيب ومساعدته أيضا ، فالأمر يتعلق بايزا ، فهو لم يعد للمنزل منذ يومين واننى فى شدة الخوف عليه .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى تتحدث فيها مسز ويتنى معنا بشأن أساليب زوجها الرديئة ، وكانت هى ومارى معا فى المدرسة وفعلنا أنا وزوجتى مافى وسعنا لتهدئتها وادخال الطمانينة على قلبها ، **ثم سألتها :**

ـ ألديك أية فكرة عن المكان الذى ذهب اليه ؟

فأجابت :

ـ نعم ، من المحتمل أنه فى مكان يدعى بار الذهب فى شرق لندن بجانب النهر بشارع ابرسواندام ، وهو مكان يقصده المدخنون المدمنون ، وهذه هى أول مرة يقضى فى هذا المكان أكثر من يوم

ولما كنت طبيب ايزا الخاص ولى تأثير كبير عليه **فقد قلت لها :**

ـ سأتوجه الى هذا المكان ، واذا كان هناك سأرسله اليك فى عربة خلال ساعتين ٠

وخلال خمس دقائق كنت قد تركت معقدى الوثير فى حجرة المعيشة ، واتخذت طريقى نحو الشرق فى عربة مسرعة ٠

كان شارع ابرسواندام فى الضفة الجنوبية بالجانب الشرقى لكوبرى لندن ، وكان بار الذهب يقع تحت مستوى الطريق حيث تؤدى بضع درجات منحدرة الى مدخل المكان والذى يبدو كفوهة الكهف ، ويتدلى مصباح زيتى فوق الباب ٠ فأمرت سائق العربة أن ينتظر وهبطت الدرجات

كانت الرؤية غير واضحة بالداخل بسبب أدخنة الأفيون الداكنة الكثيفة والتى انتشرت فى المكان ٠٠ وكان المكان عبارة عن حجرة مستطيلة منحدرة وتمتلىء بالأسرة كتلك التى تكون فوق سطح الباخرة واحدا فوق الآخر ، ولم أتبين من خلال الضوء الضعيف سوى

بعض الأشخاص ممددين فى اوضاع غريبة فوق الأسرة بالاضـــافة الى حلقات حمراء صـــغيرة لغلايين حرق الأفيون ، وكان بعض هؤلاء الأشخاص يتحدثون الى أنفسهم فى هدوء ، وبالقرب من أحد أطراف الحجرة يوجد موقد لنار صغيرة يجلس بجوارها رجل عجوز طويل ونحيف وهو يحملق فيها !

وسرعان ما تقدم نحوى خادم آسيوى ومعه غليون وبعض الأفيون وأشار الى فراش فارغ · **فقلت له :**

ـ لا ، شكرا اننى لم أحضر لأمكث ولكن لى صديق هنا هو مستر ايزا ويتنى وأريد أن أتحدث معه ·

وفجأة نهض رجل من أحد هذه الأسرة فتبينت أنه ويتنى · وكان شاحب الوجه غير مهندم ومظهره شرس **وصرخ قائلا :**

ـ واطسون ! قل لى ياواطسون كم الساعة الآن ؟

ـ حوالى الحادية عشرة ·

ـ فى أى يوم ؟

ـ الجمعة التاسع عشر من شهر يونيو .

ـ يا الهى ، كنت أظن أنه يوم الاربعاء !

ـ لا ، انه يوم الجمعة ، وزوجتك ظلت يومين فى انتظارك ويجب عليك أن تخجل من نفسك !

فبدأ فى البكاء وهو يقول :

ـ كنت متأكدا اننى هنا منذ بضع ساعات فقط ، ولكننى سأعود معك ، لا أريد أن أخيف كات ، كات الصغيرة البائسة ، أعطنى يدك ،لا أستطيع أن أفعل لنفسى شيئا ، أمعك عربة ؟

ـ نعم ، معى واحدة تنتظر بالخارج .

ـ حسن ، ولكن بالتأكيد اننى مدين بشىء ما لهذا المكان ، ابحث ياواطسون عن ذلك .

وأثناء مرورى خلال الممر الضيق بين الأسرة بحثا عن المدير ، شعرت بأن هناك شخصا ما يلمس كمى ،

وكان هو الرجل الطويل الذى كان يجلس بجانب النار ويادرنى بقوله :

ـ استمر حتى تتخطانى ثم التفت للخلف وانظر !

وعندما نظرت مرة أخرى كان الرجل لايزال منحنيا فوق النار ، كان رجلا عجوزا منحنى الظهر ويبدو عليه الاجهاد ، وفجأة رفع بصره وابتســـم لى وتبينت انه شيرلوك هولمز فهمست له قائلا :

ـ هولمز ، بحق السماء ماذا تفعل فى هذا المكان المقزز ؟!

ـ اخفض صوتك ، فان لى آذان ممتازة ، أرجوك أن تتخلص من صديقك هذا ، فاننى أريد أن أتحدث معك ..

ـ معى عربة بالخارج .

ـ اذن دعه يعود بها الى منزله ، وأقترح أن تعطى للسائق مذكرة لزوجتك لتخبرها انك معى ، ثم انتظرنى بالخارج ، وسأكون معك خلال خمس دقائق .

وخلال بضع دقائق كنت قد كتبت مذكرتى وقمت بسداد فاتورة حساب ويتنى واصطحبته للخارج الى العربة ثم ودعته :

خرج هولمز من بار الذهب وسرنا معا ، وفى البداية كان يسير الى جوارى منحنى الظهر بخطوات غير ثابتة ولكن بعد الشوارع القليلة الأولى اعتدل جسمه ، وأخذنا نضحك من أعماقنا .

وقال هولمز :

- أعتقد انك تظن أننى قد أصبحت من مدمنى الأفيون ياواطسون ؟

- اننى بالتأكيد قد اندهشت جدا من وجودك فى مثل هذا المكان .

- وأنا أيضا اندهشت لرؤيتك هناك .

- لقد أتيت لأبحث عن صديق .

- أما انا فقد أتيت لأبحث عن عدو .

- عدو ؟!

- أجل ياواطسون ، أحد أعدائى الطبيعيين ، مجرم .. فاننى حاليا أتولى البحث فى احدى قضاياى، وأخشى أن يكون مستر نيفل سانت كلير قد دخل بار الذهب وأنه لن يخرج من هذا المكان أبدا ، ويوجد باب خلف المبنى يؤدى الى النهر وأعتقد أن العديد من الرجال قد قتلوا هنا وأن جثثهم قد قذفت من خلال هذا الباب ، وكان من الممكن أن أقتل أنا أيضا بعد أن تعرف على ذلك البحار الهندى الحقير الذى يملك هذا المكان ، وقد استخدمت بار الذهب من قبل لأغراضى الخاصة حيث كنت دائما أجد أدلة مفيدة هنا من خلال الحوار مع بعض مدمنى الأفيون . لذلك أقسم مالك المكان أن ينتقم منى من أجل ذلك .

وفجأة أطلق هولمز صفيرا مرتفعا وهو يقول :

- العربة يجب أن تكون هنا الآن !

وسمعنا اجابة للصفير على البعد ولم نلبث أن

رأينا المصابيح الصفراء للعربة الصغيرة وهى تقترب منا ٠

فقال هولمز وهو يقفز فى العربة :

– والآن ياواطسون انك ستأتى معى اليس كذلك ؟

– اذا كان لى أى نفع ٠

– أوه ، الصدق دائما مفيد ، كما ان حجرتى فى سانت كلير مزودة بفراشين ٠

– فى سانت كلير ؟

– أجل ، اننى أقيم هناك اثناء عملى فى القضية

– وأين هى اذن ؟

– انها بالقرب من « لى » فى كنت ، وهى على بعد حوالى سبعة أميال مسيرة بالعربة هيا اركب !

– ولكننى لا أعرف أى شىء عن قضيتك ٠

– بالطبع لا تعرف ، ولكنك ستعرف فى الحال ، اصعد

ثم قال للسائق وهو يناوله عملة نقدية :

ـ حسنا يا هارولد ، اننا لن نحتاج اليك ، احضر الى غدا فى الساعة الحادية عشرة ، عمت مساء !

كان هولمز صامتا تماما خلال بداية الرحلة فانتظرت فى صبر أن يبدأ فى الحديث ، وأخيرا قال هولمز :

ـ كنت أفكر فيما يمكن أن أقوله لتلك السيدة العزيزة عندما التقت بى الليلة عند كباب، اننى بالطبع أتحدث عن مسز سانت كلير ، لقد حضر نيفل سانت كلير للاقامة بالقرب من « لى » منذ حوالى خمس سنوات مضت ، واتخذ منزلا ضخما مقرا له ،وعاش الرجل فى مظهر يبدو عليه الثراء ، ومع مرور الوقت أصبح له عدة أصدقاء من الجيران ، وقد تزوج منذ سنتين من ابنة أحد المزارعين بالمنطقة ، وكان نيفل سانت كلير رجل أعمال فى لندن وقد اعتاد على مغادرة منزله فى صباح كل يوم على أن يستقل قطار الساعة الخامسة والربع من محطة كانون للعودة كل مساء ، وكان نيفل

مساهما فى عدة شركات ، واذا كان لازال ، على قيد الحياة فان عمره يكون الآن سبعة وثلاثين عاما ، وليست له عادات سيئة ، وهو زوج وأب جيد ، ومحبوب من الجميع • وعليه ديون تبلغ ٨٨ جنيها فى الوقت الحالى، الا أن رصيده فى البنك يبلغ حوالى ٢٢٠ جنيها ، لذا فلن يتعرض لأى مشاكل مادية •

وقد توجه نيفل يوم الاثنين الماضى الى لندن مبكرا عن المعتاد الى حد ما ، وذكر أن عليه انجاز أمرين هامين فى هذا اليوم ، كما أنه وعد ابنه الصغير أن يشترى له صندوقا لألعاب المكعبات ، ولكن تصادف أن تسلمت زوجته برقية من شركة ابيدرين للملاحة تخبرها أن الطرد الثمين الذى تنتظره قد وصل لمكتب الشركة فى لندن ، وكانت هذه المكاتب تقع فى شارع فريسنو على بعد من شارع أبرسواندام حيث عثرت على أنت الليلة ، وقد تناولت مسز سانت كلير غداءها ثم استقلت القطار الى لندن حيث تسوقت بعض الأشـــياء ، ثم توجهت الى مكاتب الشركة الملاحية ، وعندما خرجت

كانت الساعة الخامسة الا خمسا وعشرين دقيقة فاخذت تتجول فى تمهل عبر شارع ابرسواندام على امل ان تجد عربة لتستاجرها . وكان الطقس شديد الحرارة فى ذلك اليوم ، ولم يعجبها مظهر الذى المجاور بالمرة ، وفجأة سمعت صرخة ولمحت زوجها ينظر من نافذة الدور الأول لأحد المنــــازل ، وكان يبدو أنه يلوح لها وكأنه يريدها أن تصعد ، وكانت النافذة مفتوحة وكان وجهه واضحا لها ويبدو شديد الانزعاج والتوتر ، ولاحظت أنه لا يرتدى ياقة أو ربطة عنق ، ولـــكنه كان يرتدى معطفا داكنا مثل الذى ارتداه فى ذلك الصباح ، ثم وعلى حين غرة بدا وكأن أحـــدا قد جذب ظهره من النافذة .

تأكدت مسز سانت كلير أن هناك بالتأكيد شيئا ما خطيرا ولاحظت أن مدخل المنزل يقع تحت مستوى الأرض وكان هذا هو باب بار الذهب فاندفعت تهبط الدرجات ثم اخترقت الحجرة الأمامية وحاولت ان تصعد السلم الذى يؤدى الى الجزء العلوى من المنزل ولكن المالك

ذلك البحار الهندى الذى حدثتك عنه ، أسرع بالهبوط وجذبها من الخلف وساعده الخادم الآسيوى فى دفعها للخارج نحو الطريق ، فهرعت خلال شارع ابرسواندام الى شارع فريسنو حيث وجدت ولحسن الحظ بعض رجال الشرطة فتوجهوا جميعا الى بار الذهب وصعدوا الى الحجرة التى شوهد منها مستر سانت كلير مؤخرا ، ولكن لم يكن هناك أى أثر له وانما الشخص الوحيد الموجود بالفعل فى هذا الجزء العلوى للمنزل لم يكن سوى رجل كسيح دميم يعيش هناك ، وأقسم هذا الكسيح والبحار الهندى على عدم وجود أى شخص آخر فى الحجرة الأمامية للدور الأول خلال هذا المساء • الا أن مسز سانت كلير لاحظت فجأة وجود صندوق خشبى صـــغير على المائدة وتبينت محتوياته فانتزعت الغطاء وأفرغت منه كمية من مكعبات الأطفال • لقد كانت اللعبة التى وعد زوجها ان يحضرها معه لابنهما الصغير •

تم عندئذ بالطبع فحص الغرف فحصا دقيقا حيث وجد البوليس دلائل تشير الى حدوث جريمة بشعة ••

وكانت الحجرة الأمامية عبارة عن حجرة معيشة بسيطة وتؤدى الى حجرة نوم صغيرة تطل على النهر وباعتداد حافة النهر ، كان هناك شريط ضيق من الأرض ويصبح هذا الشريط جافا خلال انخفاض الجزر الا أنه يغطى بالماء أثناء ارتفاع المد بما يساوى ارتفاع أربعة أقدام ونصف على الأقل من المياه • وكان النهر فى ذلك الوقت من النهار فى قمة ارتفاعه •

وكانت هناك بقع من الدماء لازالت عالقة بالنافذة وبضع نقط على أرضية حجرة النوم أيضا • كما وجد رجال الشرطة خلف أحدى الستائر فى الحجرة الأمامية كل ملابس نيفل سانت كلير فيما عدا معطفه ، اذ وجدوا حذاءه وجوربه وقبعته وساعته وكل شىء كان هناك ، ولم تكن هناك أى علامات للعنف على هذه الثياب ، أما مستر سانت كلير سواء أكان حيا أم ميتا ، فانه بالتأكيد لم يكن هناك ، ويبدو أنه قد ذهب من خلال النافذة اذ لم يكن هناك أى احتمال آخر •

وكان البحار الهندى قد تعرض لمشاكل مع رجال

الشرطة عدة مرات من قبل ، ولكن نظرا لرؤية مسز سانت كلير فى مطلع السلم بعد مضى بضع لحظات من ظهور زوجها فى النافذة ، فربما لم يتمكن من القيام بالقتل ،وقد ذكر أنه لايعرف شيئا فيما يتعلق بالثياب التي عثر عليها فى حجرة الكسيح ، والكسيح نفسه والذى يدعى هوج بون لابد أن يكون هو الشخص الأخير الذى رأى نيفل سانت كلير .

كان بون شحاذا معروفا فى لندن ، ودائم الجلوس فى شارع ثريد نيدل بالقرب من بنك انجلترا حيث يتظاهر بانه بائع ثقاب ، الا أن هناك بجانبه دائما جرابا قذرا من الجلد يلقى فيه الناس بالعملات وقد راقبت بنفسى هذا الرجل أكثر من مرة واندهشت للكمية الضخمة جدا من النقود التى يتلقاها بهذه الطريقة ، ومظهره كما ترى شديد الغرابة بحيث انه من الصعب أن يمر عليه أحد دون أن يلاحظه فهو ذو وجه شاحب وشعر طويل أحمر وعينان داكنتان براقتان وشفته العليا مقلوبة لأعلى على أثر حادثة قديمة ، وقد أشتهر

باجاباته الذكية على القفشات التى يطلقها عليه رجال الأعمال الذين يمرون عليه دائما .

فسألت هولمز :

- ولكن هل من الممكن أن كسيحا يستطيع أن يقتل رجلا فى مقتبل الشباب والصحة مثل نيفل سـانت كلير ؟

فأجاب هولمز :

- ان جسد هوج بون منحنى ووجهه دميم ولكنه يخفى قدرة جسدية كبيرة ، أتعرف أن المقعدين عادة ما يكونون فى منتهى القوة ، وعندما كان رجال البوليس يقومون بتفتيشه لاحظوا وجود بعض البقع الدموية على أحد أكمام قميصه ، ولكنه أوضح لهموجود قطع فى أصبعه مما تسبب فى وجود هذه الدماء ، كما ذكر انه كان عند النافذة منذ وقت قصير وان البقع التى على الأرض وعلى حافة النافذة غالبا ما تكون بسبب الجرح الذى أصاب أصبعه ، ورفض أن يعترف بانه سبق وأن

راى مستر سانت كلير وأقسم أن وجود الملابس فى الحجرة يعتبر لغزا بالنسبة له أيضا ، كما هو بالنسبة للبوليس ، واذا كانت مسز سانت كلير قد قالت انها رأت زوجها فى النافذة فلابد أنها كانت تحلم أو انها قد جنت ، وقد تم اقتياده الى قسم البوليس وهو لازال يعترض فى جلبة وصوت عال .

وما أن انخفض منســـوب المياه حتى بحث رجال الشرطة عن جسد مستر سانت كلير فى الطمى المتخلف ولكنهم لم يجدوا شيئا سوى معطفه وكان كل جيب من جيوب المعطف ممتلئا بالبنسات وأنصاف البنســـات بما يساوى ٤٢١ بنسا و ٢٧٠ نصــــف بنس لذلك لم يكن من الغريب أن المعطف لم ينجرف بعيدا بفعل الجزر ، لكن من المحتمل أن الجسد العارى قد انجرف بعيدا وربما قام بون بدفع سانت كلير خلال النافذة ثم قرر التخلص من الثياب التى قد تكون دليلا للشرطة ولكنه كان يريد أن يتأكد من أن الثياب ستغوص لذلك فقد توجه الى المخبأ حيث يحتفظ بالنقود التى حصل عليها

فى شارع ثريد نيدل وبدأ يحشو بها جيوب المعطف ، ثم ألقى به ، وربما كان سيفعل نفس الشىء مع باقى الملابس لكنه سمع عندئذ رجال الشرطة وهم يصعدون الدرجات فأغلق النافذة بسرعة .

كان بون متسولا محترفا منذ عدة سنوات ، الا أنه لم يتعرض أبدا لأى مشكلة خطيرة مع البوليس ، ويبدو أنه يعيش حياة بالغة الهدوء خالية من الأذى .

وكان على أن أعرف ماذا كان يفعل نيفل سانت كلير فى هذا المنزل وماذا حدث له عندما كان هناك ، وأين هو الآن وماهى علاقة هوج بون باختفائه ، وفى البداية تصورت أن المشكلة سهلة أما الآن فلا أعتقد انها بهذه السهولة .

هل ترى ياواطســـون ذلك الضوء الذى يبدو بين الأشجار ، انه منزل سانت كلير ، وبجوار هذا المصباح تجلس امرأة قلقة وهى غالبا تنصت انتظارا لصـــوت أقدام حصان عربتنا !

سرنا معا أنا وهولمز خلال بعض الأراضى الخاصة ثم توقفنا أمام منزل كبير وإذا بأحد الخدم يندفع ليتولى أمر جوادنا ، وانفتح الباب الأمامى قبل أن نصل اليه ثم ظهرت خلفه سيدة بيضاء ضئيلة الحجم وترتدى ثوبا حريريا قرمزى اللون وهرعت لمقابلتنا وهى تصرخ قائلة فى لهفة :

ـ حسنا حسنا !

وربما اعتقدت للحظة أن رفيقى هولمز هو زوجها المفقود ، فأطرق هولمز برأسه ، فتساءلت السيدة :

ـ الا توجد أخبار طيبة ؟

ـ أبدا .

ـ ولكن لا توجد أيضا أخبار سيئة ؟

ـ لا ..

ـ حسن ، ففى ذلك بعض الراحة والتخفيف ، ولكن هيا الى الداخل فلابد أنك في شدة الارهاق وكان يومك طويلا ومشحونا بالعمل .

- اقدم اليك صديقى دكتور واطسون والذى كان عظيم النفع لى-فى العديد من القضايا الخاصة بى وقد ساقته الصدفة الحسنة للحضور واصطحابى هذا المساء .

أعربت مسز سانت كلير عن سرورها برؤيتى وهى تضغط على يدى فى ود ثم قادتنا الى حجرة للطعام بهيجة حيث يوجد عشاء بارد قد أعد على المائدة ثم قالت :

- والآن يامستر هولمز ، أريد أن أسالك سؤالا أو اثنين ، وأريدك أن تجيب بصراحة .

- بالطبع يامسز سانت كلير .

- ما أريد معرفته هو حقيقة رأيك الشخصى .

فتساءل هولمز :

- عن ماذا ؟

- هل تعتقد حقيقة أن نيفل لازال على قيد الحياة ؟

ولم يبد أن هولمز قد أعجبه هذا السؤال ، فكررت السيدة سؤالها وقد ركزت بصرها عليه وهو مضطجع للخلف فى كرسيه ، وأخيرا أجاب قائلا :

– حقيقة لا أعتقد ٠

– هل تظن أنه مات ؟

– نعم ٠٠

– وانه قد قتل ؟

– ربما ، لا أدرى ٠

– وفى أى يوم مات ؟

– يوم الاثنين ٠

– اذن يامستر هولمز بما تفسر هذا الخطاب الذى تسلمته منه اليوم ؟

قفز هولمز من كرسيه وهو يصيح مستنكرا ، اما هى فقد ابتسمت ثم قالت وهي ترفع يدها بمظروف :

- نعم ، اليوم ..

- هل يمكن أن أراه ؟

- بالتأكيد ..

ومن لهفة هولمز اختطف منها المظروف فى خشونة واضحة ثم فتحه على المنضدة وأخذ يفحصه فى دقة بالغة ، وحاولت أن ألقى نظرة على الخطاب من فوق كتفيه ، وكان المظروف من النوع الداكن الرخيص وقد تم أرساله من جرافسند فى شمال كنت مبكرا اليوم فقال هولمز :

- الخط غليظ على المظروف ، وهذا بالتأكيد ليس بخط زوجك يامسز سانت كلير ؟

- لا ، ولكن الخطاب الذى بالداخل مكتوب بخطه .

- يبدو لى أن الذى كتب المظروف كان عليه أن يتحرك ويبحث عن عنوانك .

- وكيف تستدل على ذلك ؟

– كما ترين الاسم مكتوب بحبر أسود جيد وقد تُرك ليجف فى بطء أما العنوان فهو رمادى مما يثبت أن الرمال قد ألقيت على الكتابة لتجف ، فالرجل الذى دون هذا المظروف كتب الاسم أولا ثم انتظر بعض الوقت قبل كتابة العنوان ، والتفسير الوحيد هو أنه لم يكن يعرف العنوان ، ولكن دعينا نلقى نظرة على الخطاب .
آه .. انه يحتوى على شىء ما .

فقالت مسز سانت كلير .

– نعم ، هناك خاتم يخص نيفل .

– هل أنت متأكدة أن هذا هو خط زوجك ؟

– نعم ، بالرغم من أنه من السهل ملاحظة انه قد كتبه فى عجلة شديدة .

وكان الخطاب يقول :

« عزيزتى أوليفيا ، لاتخافى كل شىء سيكون على مايرام ، فهناك خطأ سيحتاج لبعض الوقت لتصحيحه انتظرى وتذرعى بالصبر »

« نيفل »

فقال هولمز :

- تلك هى صفحة انتزعت من أحد الكتب وارسلت بالبريد بواسطة رجل أصابعه ملوثة ، كما أن من قام بغلق المظروف يحتفظ بكمية من التبغ فى فمه ، حسن يامستر سانت كلير فالأمور قد بدأت تعطينا شيئا من الأمل . ولكننى لا أعتقد أن الخطر قد زال بعد .

- ولكن نيفل لابد أن يكون حيا يامستر هولمز !

- مالم يكن هذا الخطاب من عمل مزور حاذق ، على كل حال فان وجود الخاتم لايثبت شيئا ، فربما قد انتزع منه !

- لا ، لا ، هذا بالتأكيد هو خط يده .

- حسـن جدا ، ولكن ربما الخطاب كتب يوم الاثنين وارسل اليوم فقط .

- هذا محتمل ..

- اذا كان الأمر كذلك ، فان العديد من الأمور قد تكون حدثت خلال اليومين الماضيين .

- أوه يامستر هولمز لا تجعلنى أفقد الشجاعة انني أعرف أن نيفل بخير ، فان عاطفة قوية تربط بيننا مما يجعلنى دائما أشعر عندما يحدث له أى مكروه ففى ذلك الصباح جرح نفسه وهو فى حجرة النوم فشعرت فى الحال وأنا فى حجرة الطعام أن شيئا ما قد حدث له واندفعت الى الدور العلوى ووجدت اننى كنت على حق ، فهل تعتقد أن من الممكن الا أشعر بشيء اذا كان قد قتل ؟

- ولكن اذا كان زوجك على قيد الحياة وقادرا على كتابة رسائل فلماذا يظل بعيدا عنك ؟

- لا أستطيع أن أتصور !

- ألم يذكر أى شيء غير مألوف قبل انصرافه من المنزل يوم الاثنين ؟

- لا ..

- وقد اعترتك الدهشة عند رؤيته فى تلك النافذة فى شارع أبرسواندام ؟

ـ نعم- اندهشت دهشة بالغة ٠

ـ هل كانت النافذة مفتوحة ؟

ـ نعم ٠

ـ اذن كان يمكن أن يتحدث اليك ؟

ـ كان من الممكن ولكنه صــــرخ فقط كانه يطلب النجدة ولو بيديه ٠

ـ ولكنها ربما تكون صرخة اندهاش وأن الذهول الذى أصابه لدى رؤيتك غير المتوقعة قد دفعه لأن يرفع يديه ٠

ـ هذا ممكن ، ولكننى أعتقد أنه قد جــــذب من الخلف بعيدا عن النافذة ٠

ـ ربما يكون قد قفز للخلف ، انك لم تلاحظى أى شخص آخر فى الحجرة أليس كذلك ؟

ـ لا ، ولكن ذلك الكسيح الدميم اعترف انه كان هناك ، والمالك كان عند بداية السلم

ـ هل كان زوجك يبدو مرتديا ملابسه العادية ؟

ـ نعم ولكن بدون ياقة أو ربطة عنق ، لقد رايت رقبته العارية فى وضوح تام ٠

ـ هل ذكر لك شارع أبرسواندام من قبل ؟

ـ أبدا ٠

ـ هل ظهرت عليه أى دلائل لتعاطى الأفيون ؟

ـ لا أبدا ٠

ـ شكرا يامسز سانت كلير ، سنتناول الآن عشاء بسيطا ثم نتوجه للفراش فقد يكون الغد يوما مشحونا بالعمل ٠

ولكن هولمز لم يتوجه للفراش اذ انه كان يستطيع أن يظل مستيقظا فى بعض الأحيان لمدة أسبوع كامل أثناء العمل فى احدى قضاياه ، وبدأ يبنى لنفسه عشا بين الوسائد وملأ غليونه ثم جلس عاقدا ساقيه ثم وجه بصره نحو السقف فى نظرة ثابتة ، أما أنا فقد توجهت للفراش وسرعان ما استغرقت فى النوم ٠

وكان هولمز لايزال يدخن عندما استيقظت من النوم

في صباح اليوم التالى والذى كان يوما مشمسا ومضيئا ولكن الحجرة كانت تعج بدخان الغليون ·

ـ هل استيقظت ياواطسون ؟

ـ نعم ··

ـ هل تحب أن تأتى الى نزهة مبكرة ؟

ـ موافق ·

ـ اذن ارتد ثيابك ،ان أحدا لم ينهض بعد ولكننى أعرف أين يرقد الخادم الذى يرعى الجياد ، ولن نلبث أن نجد العربة على الطريق ·

أخذ هولمز يضحك وهو يتكلم مع الخادم وهو يبدو وكأنه رجل مختلف عن هولمز الليلة الماضية ·

وما أن انتهيت من ارتداء ملابسى ونظـــرت الى ساعتى حتى تبينت انه لم يكن غريبا ان كل من فى المنزل نيام ، اذ أن الساعة لاتزال الرابعة والنصف ولم يلبث هولمز أن عاد وأخبرنى أن العربة مستعدة ثم قال وهو يرتدى حذاءه :

ـ أريد أن أختبر فكرة صـــــغيرة لى ، واعتقد ياواطسون اننى أشد البلهاء غباء فى أوروبا واستحق أن أركل من هنا حتى لندن ولكنى أظن أننى قد وجدت تفسيرا لاختفاء نيفل سانت كلير ، نعم ، أظن ياواطسون أن لدى مفتاح اللغز .

فتساءلت مبتسما :

ـ وأين هو ؟

فأجاب قائلا :

ـ فى الحمام .. آوه .. أجل .. اننى لا أمزح .

ثم استطرد هولمز قائلا وهو يراقب مظاهر الدهشة التى ارتسمت على وجهى :

ـ لقد كنت هناك فى التو ، وقد التقطته واحضرته معى فى الحقيبة ، هيا تقدم ياواطسون ودعنا نرى اذا كان هذا المفتاح هو المفتاح المناسب لهذه القضية .

كانت العربة الصغيرة تنتظرنا تحت أشعة شمس الصباح البراقة فوثبنا معا الى العربة وسرعان ما اندفع

الجواد يجرى عبر طريق لندن ولم يكن فى الطريق سوى بضع عربات لنقل البضائع وهى على وشك أن تحمل الفواكه الى أسواق لندن ، أما المنازل على كلا جانبى الطريق فكانت ساكنة وبلا حياة وكان المشهد يبدو وكأنه حلم من الأحلام .

واذا بهولمز يقول :

– أوه ياواطسون ، كم كنت أعمى ، ولكن أن نتعلم الحكمة متأخرا أفضل من عدم تعلمها بالمرة .

أما فى لندن فكانت هناك قلة من الناس قد بدأت تطل من النوافذ فى نعاس ونحن نجوب الشوارع فى الجانب الجنوبى من المدينة وانحدرنا الى طريق كوبرى واترلو ثم عبرنا النهر وسرنا خلال شارع ويلنجتون ثم توقفنا عند قسم شرطة شارع باو ، فبادر رجلا الشرطة اللذان يقفان عند الباب بلمس قبعاتهما تحية لهولمز الذى كان معروفا هناك ، ثم أمسك أحدهما برأس الحصان بينما اصطحبنا الرجل الآخر للداخل ، فسأله هولمز :

– من هو ضابط الخدمة هذا الصباح ؟

فاجاب الشرطى :

ـ مستر برادستريت ياسيدى ٠

وعندئذ دلف الى الممر رجل بدين ضـــخم فبادره هولمز بقوله :

ـ آه يابراد ستريت ، كيف حالك ؟ أريد أن أتحدث معك ٠

ـ بالتأكيد يامستر هولمز تفضل الى حجرتى ٠

ودخلنا الى حجرة صغيرة بها مكتب وتليفون فجلس برادستريت وهو يتساءل :

ـ ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك يامستر هولمز ؟

ـ اننى هنا بشأن هوج بون ٠٠ المتسول ، ذلك الرجل الذى اتهم بأن له علاقة باختفاء مستر نيفل سانت كلير ٠

ـ أجل ونحن لازلنا فى انشغال بهذه القضية ٠

ـ وهل بون عندك هنا ؟

ـ نعم ، انه مقبوض عليه فوق .

ـ هل هو هادىء ؟

ـ أوه ، انه لا يسبب أى مشاكل ولكنه انســـان قذر .

ـ قذر ؟

ـ نعم ، انه لايهتم بغسل يديه أما وجهه ففى سواد وجه عمال المناجم ، وما أن تتم تسوية قضيته سيكون عليه أن يحصل على حمام مناسب بالسجن .

ـ اننى أود رؤيته بشدة .

ـ أحقا ؟ ان من السهل تدبير ذلك . تعال فى هذا الاتجاه ، ويمكنك أن تترك حقيبتك هنا .

ـ لا ، أعتقد اننى سآخذها معى .

ـ حسن جدا ، تفضل معى الى هناك .

وسرنا خلال أحد الممرات ثم هبط بنا بضع درجات الى ممر آخر أبيض اللون تصطف على جانبيه الأبواب.

وقال براد ستريت :

ـ الباب الثالث على اليمين يؤدى الى حجرته ، هاهى .

ثم نظر من خلال فتحة مربعة فى الجزء العلوى من الباب وقال :

ـ انه نائم ، ويمكنك أن تراه جيدا .

نظرنا أنا وهولمز من الفتحة ، وكان السجين ممددا ووجهه كان متجها نحونا وهو يغط فى نوم عميق ويتنفس فى ثقل بطىء ، وكان رجلا متوسط الطول رث الملابس ويرتدى معطفا باليا وقميصا ملونا . وكان رجلا بالغ القذارة تماما كما ذكر برادستريت ، كما أن جانبا من شفته العليا مقلوب لأعلى على الدوام مما يؤدى الى ظهور ثلاثة من أسنانه دائما ، الأمر الذى جعله يشبه أحد الكلاب الغاضبة ، أما رأسه فمغطى وحتى العينين تقريبا بشعر أحمر شديد البريق .

فقال برادستريت :

– انه قطعة من الجمال ، أليس كذلك ؟

فأجاب هولمز :

– انه بالتأكيد يحتاج لغسيل ، وقد خطر ببالى انه قد يكون قذرا لذا أحضرت معى هذا .

والتقط من حقيبته منشفة مبللة .

فضحك برادستريت من أعماقه ثم قال :

– يالك من رجل ظريف يامستر هولمز !

– والآن يابرادستريت من فضلك افتح الباب وبمنتهى الهدوء .

فاستجاب برادستريت ، ووضع مفتاحه الكبير فى قفل الباب ، ودلفنا جميعا فى هدوء شديد ، فاستدار الرجل النائم ثم استقر فى مكانه مرة أخرى ، وبسرعة خطا هولمز فوقه وحك المنشفة على وجهه بشدة .

ثم صاح هولمز قائلا :

– دعونى أقدم لكم مستر نيفل سانت كلير !!

كان تأثير منشفة هولمز غير عادى ، فقد جلد وجه الرجل وكأنه انتزع كالورق حاملا معه الشفة المقلوبة ، وقبض هولمز على الشعر الأحمر الأشعث وجذبه أيضا ، وإذا بالمتسول الدميم يتحول الى شاب وجيه ذى شعر أسود وجلد ناعم فاســـتوى جالسا وأخذ يفرك عينيه وينظر حوله فى نعاس • ولما اكتشف ماقد حدث الآن ، اطلق صرخة مروعة ثم أخفى وجهه •

فصاح برادستريت قائلا :

– يا الهى ، انه بالتأكيد هو الرجل المفقود ، لقد تعرفت عليه من الصورة الفوتوغرافية •

أما السجين فقد أمكنه خلال ذلك الوقت أن يتحكم فى نفسه ويدأ يتساءل قائلا :

– وبماذا أنا متهم ؟

فقال برادستريت :

– متهم باشتراكك فى عملية اختفاء مستر نيفل سانت كلير • ولكن بالطبع لايمكنك أن تتهم بذلك ، حسن

لقد كنت عضوا فى قوة البوليس منذ حوالى سبعة وعشرين عاما الا أننى لم أصادف أبدا شيئا من هذا القبيل .

– اذا كنت أنا نيفل سانت كلير ، اذن لم تحدث جريمة ، ومن الواضح انك تخرق القانون باحتفاظك بى هنا .

فقال هولمز :

– لم تحدث جريمة ، ولكن كان يجب عليك أن تثق فى زوجتك .

– لم تكن زوجتى هى مصدر قلقى ، ولكن الأطفال ، اننى لم أكن أريدهم أن يخجلوا من والدهم ، والآن ماذا أفعل ؟

فجلس هولمز بجانبه على الفراش وربت على كتفه فى حنان ثم قال له :

– أنصحك بأن تخبر مستر برادستريت ، فقد لايكون من الضرورى أن تقدم القضية للمحكمة ، كما

أن قصتك يمكن ألا تذكر أبدا فى الصحف ، ولن يعرف أطفالك شيئا عنها أبدا .

فنظر اليه سانت كلير نظرة امتنان ثم قال :

ـ سوف أخبرك بالقصـــة الكاملة : كان والدى مدرسا فى دربيشاير حيث تلقيت تعليما ممتازا ، وبعد أن انتهيت من الدراسة سافرت وتنقلت كثيرا حيث عملت بالتمثيل لبعض الوقت ثم أصبحت محررا صحفيا ضمن مجموعة عمل باحدى الصـــحف المسائية فى لندن ، وعندئذ بدأت كل المغامرات ، وقد وجدت أن الأسلوب الأمثل للحصول على الحقائق لمقالاتى قد يكون من خلال أن أصبح أنا نفسى متســـولا وليوم واحد فقط ، وقد تعلمت بالطبع كل مهارات التنكر عندما كنت ممثلا ، ويمكننى الآن أن أستفيد من هذه المهارات ، فطليت وجهى وثبت شفتى العليا فى التواء قبيح لأحمل الناس على الشفقة بى ، وكان الشعر الأحمر والملابس المناسبة هى فقط كل الأشياء الأخرى اللازمة ، ثم وضعت نفسى فى واحد من أكثر شوارع لندن ازدحاما ، وتظاهرت بأننى

بائع ثقاب ولكننى فى الحقيقة كنت أتسول ومكثت فى هذا المكان لمدة سبع ساعات ، وعندما عدت للمنزل فى المساء اندهشت اذ وجدت اننى حصلت على أكثر من جنيه .

وبدأت أكتب مقالاتى ولم أعد أفكر فى هذا الامر أكثر من ذلك ، ثم حدث أن وقعت باسمى على ورقة لصـــديق قد طلب اقتراض بعض النقود ، ولكن هذا الصديق لم يتمكن من ســداد الدين الذى عليه وهكذا وجدت نفسى مدينا بمبلغ خمسة وعشرين جنيها ، ولم أعرف كيف أتصرف فى هذا المبلغ وفجأة خطرت لى فكرة ، فطلبت أجازة من الجريدة لمدة أسبوعين وأمضيت هذا الوقت فى التسول بشارع ثريد نيدل ، وربحت خلال عشرة أيام المبلغ بأكمله وسددت الدين .

ويمكنك أن تتصور كم هومن الصعب انجاز العمل المرهق فى الجريدة مقابل جنيهين فى الأسبوع ، بينما تبين لى أننى أستطيع أن أحصل على هذا المبلغ فى يوم واحد فقط ، وكل ما على أن أفعله هو اطلى وجهى

وأن أضع قبعتى على الأرض وأجلس ساكنا ، وبالطبع كان القيام بمثل هذا العمل يجرح كبريائى ولكننى فى النهاية تخليت عن وظيفتى وجلست يوما بعد يوم فى هذا الركن الذى سبق واخترته ، وأدى شكل وجهى القبيح الى عطف الجميع على ، وسرعان ما امتلأت جيوبى بالنقود ، ولكن رجلا واحد فقط كان يعرف سرى وهو بحار هندى يملك بار الذهب فى شارع أبرسواندام فهناك كنت أحول نفسى كل صباح الى متسول دميم الوجه ، وهناك أيضا فى الأمسيات أصبح رجل الأعمال الوجيه ، ودفعت للرجل أجرا طيبا مقابل السكن ، لذا فقد كنت أعرف أن سرى فى أمان معه ، حسن ..

وسرعان ما تبينت أننى أدخر النقود بسرعة ، ولا أقصد أن كل متسول فى شوارع لندن يستطيع أن يكسب سبعمائة أو ثمانمائة جنيه فى السنة ، ولكن بالنسبة لى كانت هناك ميزة غير عادية وهى المامى بعملية التجميل والتنكر والتى ساعدتنى كثيرا بالاضافة الى اجاباتى السريعة الذكية والتى جعلت منى شخصية عامة تقريبا، واذا بالنقود تنهمر فى قبعتى طوال اليوم وكل يوم ،

واذا بى أحصل على مالا يقل عن جنيهين فى اليوم .
وأصبحت رجلا غنيا تقريبا .

وتمكنت من الحصول على منزل كبير فى الريف كما استطعت أن أتزوج ، ولم يكن لدى أى شخص فكرة عن مصدر نقودى الحقيقى ، وزوجتى العزيزة تعلم أن لدى عملا فى لندن وهذا كل ما فى الأمر .

ويوم الاثنين الماضى كنت قد فرغت من العمل وبدأت أرتدى ملابسى بحجرتى فى شارع أبرسواندام ، عندما رأيت زوجتى بالخارج ، ورفعت بصرها نحوى ، وكان ذلك بمثابة صدمة كبيرة لى ، فاطلقت صيحة دهشة والقيت بذراعى لأغطى وجهى ثم هبطت فى اندفاع وتوسلت الى مالك المكان أن يمنع أى شخص من الصعود ، ثم صعدت عدوا مرة أخرى ، وخلعت ثيابى ، وارتديت تلك الملابس الخاصة بهوج بون وسمعت صوت زوجتى أسفل الدرج ، ولكننى كنت أعرف أنها لن تستطيع الصعود بسرعة فوضعت المكياج اللازم والشعر المستعار ، وعندئذ اكتشفت ان البوليس قد يفتش

حجرتى ، ولم أكن أريد أن يعثر على ملابسى ، فملأت جيوب المعطف بالعملات وفتحت النافذة ، وكان اصبعى قد جرح فى ذلك الصباح بمنزلى فى كنت ، ويبدو أن الجرح قد فتح مرة أخرى بسبب العجلة التى كنت فيها ، وألقيت بالمعطف الثقيل من النافذة ورأيته يختفى داخل مياه النهر ، وكنت على وشك أن ألقى بالملابس الأخرى أيضا ولكننى سمعت البوليس فى هذه اللحظة وهو يندفع فوق السلم ، وخلال دقائق معدودة تم القبض على كقاتل لنفسى ، ولكننى تنفست الصعداء لأن أحدا لم يتبين شخصيتى • وقررت ألا يتعرف على أحد ، لذا رفضت أن أغسل وجهى ، وكنت أعلم أن زوجتى فى غاية القلق بشأنى ، لذا خلعت خاتمى وناولته لصاحب بار الذهب مع خطاب موجز وجهته اليها •

فقال هولمز :

- مسز سانت كلير لم تحصل على الخطاب الا أمس •

- ياللسماء لابد أنها قضت أسبوعا فظيعا !

فقال له برادستريت :

- البوليس كان يراقب الهندى ولابد أنه وجد صعوبة بالغة فى ارسال الخطاب دون أن نراه ، والأغلب أنه قد أعطاه لأحد البحارة الذين يفدون الى بار الذهب لتعاطى المخدرات ، وربما نسى أن يرسله حتى أمس .

فأجاب هولمز :

- أعتقد أنك على صواب ، ولكن يامستر شانت كلير ألم تتعرض للعقوبة أبدا بسبب التسول فى الشوارع ؟

- أوه ، نعم ، كان على أن أدفع أتاوة على الدوام، ولكننى أستطيع أن أتحملها بسهولة .

فقال برادستريت :

- والآن يجب أن تتوقف حياتك كمتسول ، واذا ظهر هوج بون فى شوارع لندن مرة أخرى فلن يكون فى مقدورنا أن نمنع محررى الصحف من الكتابة فى هذه القضية .

فاجابه سانت كلير :

ـ أقسم ألا أعود الى التسول مرة أخرى !

فقال برادستريت :

ـ فى هذه الحالة لن نسمع أى شيء عن هذا الأمر ولكن اذا حدث وأن عثر عليك وأنت تتسول مرة أخرى فسيعلن عن كل شيء ، ونحن يامستر هولمز ندين لك بالشكر العميق لنجاحك فى تناول هذه القضية ، وأتمنى أن أعرف كيف تحصل على نتائجك .

فأجابه صديقى هولمز :

ـ وجدت تفسير هذا الأمر فى المســاء من خلال الجلوس بين أربعة وسائد وتدخين غليونى طوال الليل، وأعتقد ياواطسون اننا اذا أخذنا العربة وتوجهنا الى شارع بيكر الآن فسنكون هناك فى الوقت المناسب تماما للافطار .

القصة الثالثة :

ابهام المهندس

هذا الأمر المثير الذى دار حول ابهام مستر هاثرلى حدث فى صيف عام ١٨٨٩ ، بعد زواجى بقليل ، وكنت أثنـــاء ذلك أمارس فترة تدريبى كطبيب ، وقد اعتدت على زيارة صديقى شيرلوك هولمز فى مسكنه بشارع بيكر ، حتى اننى فى بعض الأحيان كنت أتوسل اليه من أجل دفعه للحضور لزيارتى أنا وزوجتى .

وازدادت خـــبرتى كطبيب مع مرور الأيام ، وقد تصادف اننى كنت أقيم بالقرب من محطة بادينجتون • لذا فقد حصلت على بعض المرضى من بين عمال السكك الحديدية هناك ، وكان أحد مرضاى ويعمل حارسا قد قمت بعلاجه من مرض مؤلم مما جعله يشيد بمهارتى دائما ويحاول أن يدفع بمرضى جدد للحضور الى •

وفى صباح احد الأيام وقبل حلول الساعة السابعة بقليل استيقظت على صوت طرقات خادمتى على باب حجرة النوم ، وقالت ان رجلين قد حضرا من محطة بادينجتون وانهما ينتظرانى فى المكتب فارتديت ثيابى على عجل وهرعت هابطا السلم ، وكنت أعرف من خلال خبرتى أن حالات السكك الحديدية عادة ما تكون حالات خطيرة • وقبل أن أصل الى المكتب ، خرج الى صديقى القديم الحارس وأغلق الباب خلفه باحكام ثم قال لى هامسا :

ـ لقد حصلت عليه هنا !

ثم اشار باصبعه من فوق كتفه وكأنه قد امسك بحيوان مفترس غريب واحضره لى • ثم استطرد قائلا :

ـ انه مريض جديد ، وفكرت أن أحضره الى هنا بنفسي حتى لا يستطيع الفرار ، ولكن على أن اذهب الآن يادكتور فلدى واجبات مثل واجبات وظيفتك تماما •

ثم انصرف من المنزل قبل أن أتمكن من تقديم الشكر له • ودخلت مكتبى فوجدت سيدا يجلس بجانب المائدة، وكان يرتدى حلة ريفية مع قلنسوة لينة من القماش كان قد وضعها على قمة كتبى ، وكان هناك منديل ملوث بالدماء يلتف حول احدى يديه ، كان شابا لا يزيد عمره عن خمسة وعشرين عاما ، وفكرت فى وجهه الشديد الشحوب بالرغم من قوته الواضحة • وكان الرجل يبدو في حالة من الهياج غير صحية ولايستطيع التحكم فيها •

وسرعان ما بادرني بقوله :

ـ انني آسف يادكتور على انتزاعك من فراشك

فى هذا الوقت المبكر ، ولكننى تعرضت لحادثة خطيرة أثناء الليل ، لقد عدت الى لندن هذا الصباح بالقطار ، وفى بادينجتون سألت أفراد السكك الحديدية عن كيفية العثور على طبيب ، فتطوع شخص لطيف وبالغ الحنو باحضارى الى هنا ، وقد أعطيت خادمتك بطاقة ولكننى أرى انها قد تركتها هناك على جانب المنضدة .

التقطت البطاقة ونظرت اليها وقرأت :

(مستر فيكتور هيذرلى ، مهندس رى ـ الدور الثالث ١٦ أ شارع فيكتوريا .)

كان ذلك هو اسم زائر الصباح . فقلت له وأنا أهم بالجلوس :

ـ اننى آسـف لأنك انتظـرت طويلا ، ولابد ان رحلتك الليلية كانت كئيبة أيضا .

فقال :

ـ أوه أن تجربتى خلال الليل لايمكن أن يطلق عليها اسم كئيبة !

ثم ضحك والواقع أنه زمجر واهتز فى ضحك غير طبيعى •

فصرخت قائلا :

ـ كف عن هذا ، وتحكم فى نفسك •

ثم صببت له كوبا من الماء ولكنه استمر فى الضحك لبعض الوقت ، وعندما توقف فى النهاية كان فى شدة الارهاق والخجل من نفسه ، فقال فى صوت واهن :

ـ كان من الغباء أن أضحك هكذا •

فوضعت له بعض الشراب فوق الماء وقلت له :

ـ لا البتة ، أشرب هذا !

وسرعان ما عاد الهدوء الى وجهه الشاحب وقال :

ـ هذا أفضل ، والآن يادكتور هل تسمح بأن تعتنى بابهامى أو حتى بالمكان الذى كان به ابهامى !

ونزع المنديل ورفع يده ، وكان المنظر فظيعا ، ومع اننى كنت طبيبا بالجيش الا أننى استطعت بصعوبة أن

أتحمل النظر اليه ، فلم يكن هناك سوى سطح احمر غير مستو ومنتفـخ بدلا من الابهام ، اذ كان الابهام مقطوعا أو منزوعا من مكانه تماما .

فصرخت قائلا :

– يا الهى ، انه جـــرح فظيـــع ، لابد انه نزف بشدة .

– أجل ، حدث ذلك ، وقد أغمى على حينئذ ، وأظن أننى ظللت غائبا عن الوعى فترة طويلة ، وعندما أفقت وجدت أن الجرح لا زال ينزف ، لذا فقد ربطت أحـــد طرفى منديلى حول رسغى باحكام واســـتخدمت قطعة صغيرة من الخشب لأزيد من احكامه .

– ممتاز ، كان يجب أن تكون طبيبا .

– انني مهندس رى كما ترى !

فقلت له وأنا أفحص الجرح :

– لقد حدث هذا بسبب آلة ثقيلة وبالغة الحدة .

فأجاب :

ـ بلطة !

ـ أعتقد انها كانت حادثة ؟

ـ لا ..

ـ أكان شخصا اذن يحاول أن يقتلك ؟

ـ نعم ..

ـ ياللبشاعة !

وقمت بتطهير الجرح ثم تضميده ، ولم يصرخ الرجل أثناء قيامى بالعمل فى يده بالرغم من أنه كان يضغط على شفتيه بين وقت وآخر . وسألته عندما انتهيت من عملى :

ـ ماهو شعورك الآن ؟

ـ أشعر بتحسن ، فالشراب الذى قدمته لى بالاضافة للضمادة قد جعلا منى رجلا جديدا ، لقد كنت

فى شـــدة الضعف ، ولكننى عشـــت بعض التجارب المريرة .

- ربما من الأفضل الا تتحدث عن الأمر ، فهو يزعجك كثيرا

- أوه كلا ، ليس الآن ، وسيكون على أن اقص كل شىء للبوليس ، وفى الحقيقة اذا لم يكن لهذا الجرح وجود ربما لن يصدق البوليس روايتى ، فهى قصـــة مثيرة جدا ولا أملك الكثير لاثباتها وأشك فى أن العدالة يمكن أن تأخذ مجراها أبدا لاننى سامد المخبرين بالقليل من الأدلة .

فقلت له :

- فى هذه الحالة انصحك بشدة أن ترى صديقى شيرلوك هولمز قبل أن تتوجه للبوليس .

فاجاب ضيفى قائلا :

- آه ، لقد سمعت عن مستر هولمز ، وساكون فى غاية السرور اذا اهتم بالأمر بالرغم من اننى يجب أن

اخطر البوليس ايضا ، هل يمكن أن تعطينى ما يقدمنى اليه ؟

- سافعل ماهو افضل من ذلك ، ساصحبك اليه بنفسى •

- انك بالغ الحنان ••

- سنستدعى مركبة ونذهب سويا ، وسنصل فى وقت مناسب تماما لكى نتناول افطارا بسيطا معه ، هل تشعر بقدرة كافية للخروج ؟

- أوه ، اجل ، لن أشعر براحة عقلى الا بعد سرد قصتى •• !

- اذن ستستدعى خادمتى المركبة ، وسأكون معك خلال لحظة •

واندفعت أصعد السلم وبسرعة شرحت لزوجتى كل شىء ، وبعد مضى خمس دقائق كنت أنا ومستر هاثرلى فى مركبة ومتجهين نحو شارع بيكر •

وكما توقعت وجدت شيرلوك هولمز جالسا فى حجرة الجلوس يقرأ بعض الاعلانات الشخصية الصغيرة فى جريدة التايمز وهو يدخن غليونه فى هذا الصباح المبكر .

رحب بنا هولمز بطريقته الهادئة اللطيفة المعتادة ، وأمر لنا بالمزيد من الطعام ، ثم جلسنا جميعا حول المائدة حيث تناولنا افطارا جيدا ، ولما انتهينا اتاح هولمز لمستر هاثرلى ان يتمدد على الأريكة ثم وضع فى متناول يده كوبا من الشراب ثم قال له هولمز :

– من الواضح أن تجربتك يامستر هاثرلى غير عادية وفظيعة ، وأرجوك أن ترقد هناك وتعتبر نفسك فى منزلك تماما ، وتقص علينا بقدر ماتستطيع على أن تتوقف وتتناول شيئا من الشراب عندما تشعر بالتعب

فاجاب مريضى قائلا :

– شكرا لك ، ولكننى قد شعرت بشىء من الانتعاش منذ أن ضمدنى الطبيب ، واعتقد أن افطارك الممتاز قد

استكمل العلاج ، لذا فانني سأبدأ في سـرد تجربتي الشاذة في الحال •

عندئذ اضطجع هولمز في كرسيه الضخم ، وكالعادة ارتسمت على وجهه مظاهر النعاس بينما كانت عيناه شبه المغلقتين تخفيان شغفه ، وجلست أنا قبالته وبدأنا نصغي في صمت للقصة الغريبة التي يسردها ضيفنا الذي بدأ يقول :

أبي وأمي قد توفيـا وأنا غير متزوج ، وأعيش بمفردي في مسكن بلندن ، أما عن المهنة فانني مهندس ري وقد حصلت على تدريب لمدة سبع سنوات مع فينر وماتيسـون وهما من مهندسي الري المعروفين في جرينتش وقد أنهيت تدريبي منذ عامين ، وكان والدي قد توفي منذ وقت قريب وتسلمت بعضا من نقوده ، لذا قررت أن أتوجه الي العمل الحر واتخـذت مكتبا في شارع فيكتوريا •

وكانت السنوات القليلة الأولى للممارسـة الحرة مخيبة للآمال الي حد ما فخلال عامين لم أحصل الا على

ثلاثة أو أربعة عملاء واكتسبت سبعة وعشرين جنيها فقط ، وكنت انتظر فى مكتبى الصغير يوميا من الساعة التاسعة صباحا وحتى الرابعة بعد الظهر الى أن بدأت أفقد حماسى ، وتصورت أننى لن أحصل على أى عمل أبدا .

الا أنه بالأمس وبينما كنت أفكر فى مغادرة المكتب ، اذ دخل سكرتيرى ليخبرنى أن سيدا ينتظر رؤيتى للعمل ثم ناولنى ايضا بطاقة تحمل اسم « كابتن ليساندر ستارك » مطبوعا عليها ، واذا بالكابتن يلحق به فى الحال . وكان رجلا نحيفا وطويلا ، ولا أظن اننى سبق وأن رأيت رجلا أنحف من كابتن ستارك ، وكانت له أنف حادة وجلد وجهه ينسحب فوق عظامه فى شدة بالغة ، الا أن نحافته لاتبدو أنها نتيجة لأى مرض ، وكان ظهره مستقيما وعيناه لامعتين ،أما ثيابه فبسيطة ولكنها أنيقة ويبدو فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره .

وقد تصورت أنه ألمانى الجنسية عندما تحدث الى قائلا :

ـ مستر هاثرلى ، لقد تمت تزكيتك لى يامستر هاثرلى ليس فقط كمهندس ممتاز ولكن كرجل يستطيع أن يحفظ السر أيضا • وقد أسعدتنى هذه اللاحظة وانحنيت وانا اقول له :

ـ أيمكن أن أسأل عن الذى تحدث عنى بمثل هذا اللطف البالغ ؟

فأجابنى :

ـ حسنا ربما من الأفضل الا أخبرك عن ذلك الآن، وقد سمعت أيضا أن والديك قد توفيا وانك غير متزوج وتعيش وحيدا فى لندن •

فأجبته :

ـ ان هذا صحيح تماما ، ولكننى لا ارى أن هناك مايربط بين هذا وبين قدرتى المهنية ، فقد اخبرنى سكرتيرى أنك تريد أن تتحدث معى حول أمر مهنى •

ـ أجل بالتأكيد •• ولكن كل ما ذكرته الآن هام ، فلدى عمل لك ولكن السرية المطلقة ضرورية تماما ،

سرية مطلقة ، وبالطبع يمكننا ان نتوقع سرية اكثر بالنسبة لرجل يعيش وحيدا عنها بالنسبة لرجل يعيش مع عائلته .

فاجبته :

– اذا وعدت بالمحافظة على سر ، فثق من اننى سأفعل ذلك .

فتطلع الى فى شك بالغ وانا اتحدث ثم قال فى النهاية :

– اذن هل تعد ؟

– نعم أعد !

– أتعد بالصمت الكامل المطلق قبل وبعد القيام بالعمل ؟ اتعد بعدم ذكر الأمر اطلاقا ؟ لا بالحديث ولا بالكتابة ؟

– لقد اعطيتك كلمتى فى التو !

– حسن جدا .

وفجأة قفز ومرق عبر الغرفة واندفع يفتح الباب ، وكان الممر الخارجى خاليا ، ثم قال وهو يعود :

ـ هذا حسن ، فاننى أعلم أن الكتبة فضوليون فى بعض الأحيان فيما يتعلق بشئون رؤســـائهم ، والآن يمكننا أن نتحدث فى أمان !

ثم جذب مقعده قريبا جدا من مقعدى وبدأ ينظر الى مرة أخرى فى شك وامعان ، ولم أحب هذا الأسلوب وبدأت أشعر بالضجر من عميلى الغريب وقلت له :

ـ أرجو أن تخبرنى ياسيدى ، لماذا أتيت لرؤيتى ؟ فوقتى له قيمة .

وهذا بالطبع لم يكن فى الواقع حقيقيا .

فقال الرجل متسائلا :

ـ أيكون مبلغ خمســـون جنيها مقابل العمل فى الليلة مناسبا بالنسبة لك ؟

- أجل ، حسن جدا بالفعل .

- لقد قلت لك ليلة عمل ولكن الحقيقة ان العمل لن يستغرق اكثر من ســـاعة واحدة ، انني فقط أريد رايك بشأن ضاغط مائي لا يعمل جيدا ، واذا أوضحت لنا الخلل يمكننا في الحال أن نصلحه بانفسنا فهل انت مستعد لأن تقوم بهذا العمل ؟

فاجبته قائلا :

- اجل فالعمل يبدو لي خفيفا والأجر بالغ الكرم

- أجل ، ونحن نريدك أن تأتي الليلة على ان تستقل القطار الأخير .

فسألته عن المكان فاوضح قائلا :

- الى آيفورد في بيركشاير ، وهى قرية صغيرة على بعد حوالى سبعة أميال من ريدنج وهناك قطـار من باديبنجتون يمكن ان يحضرك الى هناك فى حوالى الساعة الحادية عشرة والربع .

ـ حسن جدا •

ـ وساحضر الى محطة آيفورد فى مركبة لأقابلك

فسالته ان كان يقيم بعيدا عن المحطة فقال :

ـ نعم ، منزلنا خارج المدينة تماما ، وهو على بعد يزيد على سبعة اميال •

ـ اذن لن نصل الى منزلك قبل منتصف الليل واعتقد أنه لا توجد قطارات للعودة من آيفورد الى لندن فى منتصف الليل ويتحتم على المبيت فى منزلك !

ـ أوه ، أجل ، ويمكننا بسهولة توفير فراش لك •

ـ لن يكون هذا مريحا ، ألا أستطيع أن أحضر فى وقت آخر ؟

ـ لقد قررنا أن الليل هو أفضل وقت ، والارتفاع غير العادى للأجر سيكون تعويضا لك عن عدم الراحة ولكن بالطبع لك مطلق الحرية فى رفض العمل اذا أردت ذلك •

فكرت في المبلغ وفكرت فى النفع البالغ الذى سيعود على من هذا المبلغ فقلت له :

- سأفعل ماتريد ، ولكنني أريد أعرف وبشيء من الوضوح ، ماذا تريدني أن أفعل ·

- بالطبع سأشرح لك كل شيء ، ولكن الأمر بالغ السرية فهل أنت متأكد أن مامن أحد يستطيع أن يسمع ما نقول ؟

فقلت له :

- تمام التأكيد ·

- اذن سأشرح لك لقد بتعت منذ بضعت سنين مضت منزلا وقطعة أرض صغيرة على بعد حوالى عشرة أميال من ريدنج ثم اكتشفت بعد ذلك أن التربة فى حقل من حقولى تحتوى على تربة طفلية والتربة الطفلية كما تعلم من المواد القيمة ، وتوجد فى موقع أو موقعين فقط فى انجلترا الآن ، ولكن لسوء الحظ أن كمية التربة الطفلية فى حقلى ضيئلة ولكن فى وجهة اليمين والشمال

وفى امتداد يخص أراضى جيرانى توجد كميات أكثر من هذه المادة وجيرانى ليست لديهم أى فكرة أن أراضيهم قيمة مثل منجم الذهب ، ومن الطبيعى أن أهتم بشراء أراضيهم قبل أن يكتشـــفوا قيمتها الحقيقية ، ولكننى للأسف لا أملك رأس المال الذى يتيح لى ذلك ، فأطلعت بعض أصدقائى على هذا السر ، ولذلك اقترحوا على اننا يجب أن نستخرج كمياتنا الضئيلة من الطفلة فى سرية تامة وهدوء ، واننا بهذه الطريقة سنتمكن من الحصول على النقود التى تكفى لشراء الحقول المجاورة وقد قمنا بالعمل بهذه السرية لبعض الوقت ، وماكينة الضغط المائى هى احدى الماكينات التى نستعملها وهذه الضاغطة كما سبق وشرحت لك لا تعمل بكفاءة ، ونريد نصيحتك فى هذا الأمر ، ونحن نراقب سرنا بعناية بالغة واذا عرف جيراننا أن أحد مهندسى الرى قد زار منزلنا الصغير ، فان اكتشافنا للتربة الطفلية لن يظل سرا ، ولن تتاح لنا اطلاقا فرصة شــراء هذه الحقول وتنفيذ خططنا ، ولهذا السبب دفعتك لأن تعدنى بأنك لن تخبر أى مخلوق بذهابك الى آيفورد الليلة هل تفهم ؟

فاجبته قائلا :

ـ اجل ، ولكن هناك نقطة واحدة لا افهمها تماما فى هذا الأمر ، كيف يمكن أن تكون ماكينة ضغط مائى ذات أى نفع فى استخراج التربة الطفلية من الأرض ؟

فأجابنى بعدم اكتراث :

ـ آه ٠٠ ان لدينا طريقتنا الخاصة ، نحن نستعمل ماكينة الضغط المائى لتحويل التربة الطفلية الى قوالب حتى يمكننا رفع المادة دون أن تتاح فرصة للجيران ان يعرفوا كنهها ، ولكن هذه تفاصيل دقيقة ، وقد وضعت فيك ثقتى الآن يامستر هاثرلى واظهرت لك اننى أثق بك ٠

ثم نهض وهو يقول :

ـ سأنتظرك اذن فى آيفورد الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة ٠

ـ ساكون هناك بالتاكيد ٠

ـ ولا تنبس بكلمة واحدة لأى مخلوق .

ثم نظر الى نظرة أخيرة طويلة ومتسائلة ثم ضغط على يدى بيده الباردة الرطبة وأسرع بمغادرة الحجرة .

حسن ، ياسادة وما أن أصبحت وحدى مرة أخرى حتى شعرت بدهشة بالغة ازاء هذا الزائر وطلبه غير العادى ، وبالطبع كنت مبتهجا الى حد ما لأن النقود كانت عشرة أضعاف الأجر العادى على الأقل لمثل هذا الحجم من العمل كما أن هذه الفرصة من الممكن أن تؤدى الى فرص أخرى ، الا أن وجه عميلى الجديد وأسلوبه أضفى على شعورا بالاشمئزاز ، ولم أصدق أن التربة الطفلية توضح فى الحقيقة هذه الضرورة لزيارة فى منتصف الليل أو تلك الظروف البالغة السرية المرتبطة بها ، ولكننى استطعت تجاهل مخاوفى وتناولت عشاء ضخما ثم توجهت الى بادينجتون وانطلقت نحو آيفورد ، وقد أطعت كل تعليمات كابتن ستارك بشأن عدم الكلام .

وكان على أن أبدل المحطات فى ريدنج واللحاق بالقطار الأخير المتوجه الى آيفورد ، ووصلت الى المحطة الصغيرة المظلمة بعد الساعة الحادية عشرة ، وكنت المسافر الوحيد الذى نزل هناك . ولم يكن بالمحطة سوى موظف السكك الحديد يمسك بمصباح زيتى وقد غلبه النعاس ، وأثناء مرورى خلال البوابة الصغيرة للمحطة، رأيت كابتن ستارك ينتظر فى الظلام على الجانب الآخر من الطريق ، وبدون أن ينبس بأى كلمة قبض على ذراعى ثم أسرع بى نحو احدى المركبات ، وجذب النوافذ على الجانبين وأخذ يطرق على الجدار كعلامة للسائق ، فانطلقنا بأسرع مايمكن أن ينطلق الجواد .

واذا بهولز يقاطع مستر هاثرلى متسائلا :

- حصان واحد ؟!

- نعم واحد فقط .

- هل لاحظت لون الجواد ؟

- نعم لمحته على ضوء مصابيح العربة أثناء

دخولى اليها لقد كان جوادا ذا لون بنى فاتح .

ـ أكان يبدو نشيطا أم مرهقا ؟

ـ آه ..

ـ اشكرك ، وآسف لمقاطعتك وارجو ان تستمر فى قصتك البالغة الاثارة .

فاستطرد مستر هاثرلى قائلا :

ـ ظللنا نسير حوالى ســاعة على الأقل ، وكان كابتن ستارك قد ذكر انها حوالى سبعة أميال فقط ، ولكن الوقت الذى استغرقناه فى الســير الى جانب السرعة التى سافرنا بها جعلتنى أفكر أن المسافة لابد أن تكون فى الواقع عشرة أو أحد عشر ميلا ، وكان الكابتن يجلس بجوارى صامتا وهو يفحصنى بإمعان طوال الوقت ، ولابد أن طريق المدينة كان سيئا الى حد ما لأن العربة أخذت فى الاهتزاز والارتجاج لأعلى ولأسفل فى عنف أثناء تقدمنا فى السير ، وحاولت أن أتطلع من النوافذ لأتبين موقعنا ، ولكن النوافذ كانت

مصنوعة من زجاج مطلى فلم أر سوى أضواء باهتة عابرة ·

وحاولت أن أتحدث بين الحين والآخر مع الكابتن ستارك ولكن اجاباته لم تزد عن « نعم » أو « لا » مما يؤدى الى توقف الحوار ، وفى النهاية توقف ارتجاج العربة وسرنا فوق طريق ناعم خاص وانتهت رحلتنا ، فقفز كابتن ستارك وما أن تبعته حتى جذبني بسرعة خلال باب المنزل الأمامى المفتوح وخطونا من العربة الى القاعة مباشرة حتى اننى عجزت تماما عن تكوين أى فكرة عن الشكل الخارجى للمنزل ، وما أن دلفت داخل المنزل حتى انغلق الباب خلفنا فى عنف وتناهى الى سمعى صوت العجلات الواهن أثناء انصراف المركبة ·

وكان الظلام حالكا تماما داخل المنزل فبدأ الكابتن يبحث عن ثقاب وهو يتحدث الى نفسه أثناء القيام بذلك، وفجأة انفتح باب فى الطرف الآخر للممر ثم ظهر شعاع من الضوء الذهبى أخذ فى الانتشار ، ورأيت سيدة بيدها مصباح ترفعه عاليا فوق رأسها وهى تدفع بوجهها

للأمام لتنظر الينا ، واستطعت أن اتبين أنها جميلة الوجه وترتدى ثيابا غالية القيمة ، وقالت السيدة بضع كلمات وكانها تسال سؤالا بلغة أجنبية واجابها صاحبى بكلمة واحدة باردة سببت لها صدمة الى حد انها كادت أن تسقط المصباح من يدها ، فتوجه كابتن ستــارك اليها وهمس فى أذنيها ثم جذبها مرة أخرى الى الحجرة التى خرجت منها وهو يقول لى :

ـ أرجو أن تتكرم بالانتظار فى هذه الحجرة بضع دقائق .

وكانت الحجرة صغيرة ومؤثثة تأثيثا بسيطا وبها منضدة مستديرة فى الوسط ويتناثر عليها العديد من الكتب الألمانية ، ووضع الكابتن المصباح على منضدة أصغر بجانب الباب وقال وهو يختفى فى الظلام :

ـ لن اجعلك تنتظر طويلا !

طفقت أنظر الى الكتب الموضوعة على المنضدة وبالرغم من اننى لا أعرف اللغة الألمانية لكننى استطعت أن أتبين أن كتابين من هذه الكتب كانا يتناولان أمورا

علمية أما الباقى فكانت كتبا للشعر ، ثم سرت نحو النافذة على أمل أن أرى شيئا مما يحيط بالمنزل ، الا أن النافذة كانت مكسوة بألواح ثقيلة وقوية من الخارج . لقد كان منزلا ساكنا بدرجة غير عادية ، وكان الصوت الوحيد يأتى من ساعة قديمة فى مكان ما بالممر، وشعرت بنفسى ازداد قلقا .. من هم هؤلاء القوم الألمان ؟ وماذا يفعلون ؟ ولماذا يقيمون فى هذا المكان الغريب بعيدا عن العمران ؟ وأين يقع هذا المكان ؟ لم أعرف سوى انه على بعد عشرة أو اثنى عشر ميلا من آيفورد ، ولكننى لا أعرف ان كان نحو الشمال أم الجنوب أم الشرق أم الغرب ، ومدينة ريدنج بالطبع تقع على نفس البعد تقريبا الا أن السكون التام يجعل من الواضح ان منزل كابتن ستارك قد أقيم فى الريف ، وأخذت أجوب الحجرة فى قلق وأنا أغنى لنفسى من خلال أنفاسى لأمنح نفسى القوة ، والاحساس بأننى سأكسب جنيهاتى الخمسين بالكامل .

واذا بباب الحجرة يهتز فى بطء ثم ينفتح بدون

أدنى صوت ولمحت المرأة واقفة هناك ويمتد خلفها ظلام القاعة الدامس ، وظهر وجهها الجميل المتلهف فى ضوء مصباحى ، وكانت فى حالة من الرعب البالغ فشعرت أن دمائى قد تجمدت فى عروقى لهذا المنظر ، وكانت السيدة ترفع أصبعا مرتعشا لتحذرنى من الكلام ، أما عيناها .. وهى تنظر للخلف نحو الممر المظلم فكانتا تشبهان عيون جواد أصابه الرعب !

وهمست وهى تجتهد للحديث فى هدوء قائلة :

ـ يجب أن تذهب بعيدا ، لا يوجد خير لك هنا فيما ستقوم به ..

ـ ولكنى لم أبدأ بعد فى العمل الذى جئت من أجله ولا أستطيع الانصراف بأية حال حتى أرى الماكينة .

فاستمرت قائلة :

ـ لن تستفيد شيئا بانتظارك ، ويمكنك أن تمر من الباب ، لن يمنعك أحد .

ولما لاحظت اننى قد ابتسمت فقط وهززت رأسى ،

أقلعت فجاة عن محاولتها للحديث بهدوء وخطت خطوة للأمام ثم قالت وهى تمد ذراعيها نحوى :

ـ بحق السماء اهرب من هنا قبل أن يفوت الأوان !

ولكن لم يكن من السهل اثنائى عن عزمى خصوصا وأن الصعوبات تشجعنى فى المضى قدما فيما قد عزمت عليه ، وفكرت فى أجرى المجزى وفى الرحلة المضنية التى قمت بها فى التو ثم فى الليلة الكريهة التى قد بدأت الآن ، أيضيع كل هذا تماما ؟ ولماذا يجب على أن أهرب بعيدا وبدون تنفيذ أوامر عميلى ، وبدون استلام أجرى ومن المحتمل أن تكون هذه السـيدة مجنونة ! وبالرغم من أن تحذيرها قد أقلقنى إلا أننى أخذت أهز رأسى بشدة وأقول اننى سأبقى ، وكانت ستستمر فى محاولة اقناعى لولا أن سمعنا جلبة صادرة من اغلاق أحد الأبواب فى الدور العلوى تلاها صوت وقع أقدام على السلم ، فانصتت السيدة لبرهة ثم ألقت بيديها فى يأس ..وفجأة اختفت فى سكون كما حضرت .

وعندما عاد كابتن ستارك الى الحجرة كان معه رجل آخر قصير وبدين وذو لحية تشبه لحية العنزة التى نمت من خلال ثنايا وجهه المستدير • وقدمه الكابتن الى باسم مستر فيرجوسون موضحا انه سكرتيره ومدير أعماله ثم منحنى نظرة شك وهو يقول :

ـ مستر هاثرلى •• انى أعتقد أنى تركت هذا الباب مغلقا فى التو •

فاجبته :

ـ أجل ، ولكن الغرفة بدت خانقة الى حد ما ، ولذلك فتحت الباب لأسمح بدخول شىء من الهواء !

ـ حسنا ، ربما من الأفضل أن نبدأ عملنا الآن ، وسنصحبك أنا ومستر فيرجوسون ونصعد لرؤية الماكينة •

فقلت :

ـ أظن من الأفضل أن أرتدى قبعتى •

ـ أوه ، كلا •• انها هنا فى المنزل •

- ماذا ! أتستخرج تربة طفلية من المنزل ؟

- كلا ، كلا ، اننا نضغطه الى قوالب فقط هنا ، ولكن لا أهميـــة لذلك فكل ما نريدك أن تفعله هو أن تفحص الماكينة وأن تدعنا نعـــرف نوع الخلل الذى أصابها .

وصعدنا جميعا معا ، الكابتن أولا ومعه المصباح ثم المدير البدين وأناخلفه ، وكان المنزل من طراز المنازل العتيقة التى من السهل أن يضل فيها الانسان طريقه حيث يعج بالممرات والسلالم الضيقة الملتوية والأبواب المنخفضة بعض الشىء ، والأرض غير مغطاة .. أما الدور الأول فكان خاليا تماما من الأثاث ، أما طـلاء المصيص فقد انفصل من الجدران التى إنتشرت خلالها الرطوبة فى شكل بقع خضراء قبيحة ، وحاولت أن أبدو من جانبى هادئا ومبتهجا ، ولكننى لم أنس تحذيرات السيدة ، وأخذت أراقب زملائى فى قلق وكان مظهر فيرجوسون انه رجل صامت وحاد الطبع ، الا أننى استطعت أن أتبين من صوته انه رجل انجليزى على الأقل .

وفى النهاية توقف الكابتن ستارك أمام أحد الأبواب المنخفضة حيث فتح القفل وكانت الحجرة مربعة وصغيرة من الداخل بل الواقع أنها كانت صغيرة الى حد اننا نحن الثلاثة وجدنا أن من الصعب الدخول معا فى نفس الوقت فمكث فيرجوسون بالخارج بينما دخلت أنا مع الكابتن الذى بادر بقوله :

ـ نحن الآن داخل الضاغط المائى بالفعل ، وسيكون الأمر بالغ السوء بالنسبة لنا اذا قام أى شخص بتشغيلها ، ان سقف هذه الغرفة الصغيرة هو فى الحقيقة الجزء المتحرك للضاغط • وهو يهبط بقوة كبيرة جدا على هذه الأرضية المعدنية ، والماكينة لازالت تعمل ولكن هناك بعض الخشونة أدى الى فقدها شيئا من قدرتها ، وأريدك أن تفحصها من فضلك ، وأن ترشدنا عن كيفية اصلاحها •

فتناولت المصباح من يده وفحصت الماكينة تماما ، وكانت بالفعل ماكينة ضخمة جدا وقوية ، الا أننى عندما خرجت مرة أخرى وضغطت المقابض التى تتحكم

فى الماكينة الى أسفل استطعت أن أتبين صـــوتا من الصفير الناعم الذى يدل على وجود تسرب طفيف للماء من خلال أحد أجزاء الماكينة وهذا هو تفسير انخفاض ضغط وقوة الماكينة الى حد ما ، كما أظهر المزيد من الفحص أن احدى حلقات المطاط فى الضاغط قد تمزقت وأصبحت رقيقة مما تسبب فى تسرب المياه ، فحددت ذلك لرفيقى اللذين كانا يستمعان فى انصات شديد لكل ما أقول ، ويوجهان عدة أســـئلة حول كيفية القيـام باصلاح التلف .

وما أن أوضحت الأمر لهما ثم عدت الى الماكينة مرة أخرى وألقيت عليها نظرة فاحصة لأرضى فضولى الشخصى ، وتبينت أن قصة التربة الطفلية ماهى الا كذبة كاملة ، فقد كان من المستحيل تصديق أن مثل هذه الماكينة القوية تؤدى مثل هذا الغرض ، وكانت الجدران قد صنعت من الخشب أما الأرض فكانت معدنية ، وأعدت فحص ذلك عن قرب فتبينت أن الأرض كانت مكســـوة بطبقة من معدن آخر تم طحنه الى مسحوق فانحنيت

على الأرض وبدأت أخدشها لأتبين كنهها بالضبط ، وعندئذ تناهى الى سمعى بضع كلمات غاضبة باللغة الألمانية ورأيت وجه الكابتن وهو ينظر لأسفل نحوى ويقول متسائلا :

ـ ماذا تفعل بالداخل هناك ؟

وكنت أنا الذى أشعر بالغضب منه للأكاذيب التى قالها لى ، فقلت له :

ـ لقد كنت أبدى اعجابى بتربتك الطفلية • واعتقد انه كان من الواجب عليك أن تخبرنى بالغرض الحقيقى لماكينتك قبل أن تسألنى النصيحة بشأنها !

وما أن نطقت بهذه الكلمات حتى شعرت بالندم فقد اكتسى وجه الكابتن ستارك بتعبير قاس وبارد ورأيت عينيه الرماديتين تشعان بالكراهية وقال :

ـ حسن جدا ، سأريك كل شىء فيما يختص بالماكينة •

ثم خطا خطوة للخلف وأغلق الباب الصغير

وبسرعة أدار المفتاح فى القفل ، فاندفعت نحوه وجذبت المقبض ثم جذبت الباب وأخذت أطرق عليه ولكن الباب كان ثابتا فى مكانه فبدأت اصرخ قائلا :

– كابتن ستارك .. كابتن ستارك ، دعنى أخرج .

ولكن الصمت كان محيطا بالمكان وفجاة سـمعت صوتا جعلنى أشعر أن قلبي قد قفز الى حلقى من الرعب لقد كان صوت مقابض تشغيل الماكينة وهى تضـغط للأسفل وبدأ صوت الصفير الطفيف للماء ، اذن فقد أدار كابتن ستارك الماكينة ، وكان المصباح لايزال على الأرض المعدنية للضـاغطة وعلى ضوء المصباح رأيت أن السقف الأسود قد بدأ يهبط فوقى فى بطء وعدم اتزان ولكن بقوة تكفى لطحنى وسحقى فوق الأرض ، وارتميت بجسدى على الباب وأنا أصرخ صرخة مروعة محاولا أن أجذب القفل بأظافرى ومتوسلا للكابتن أن يدعنى أخرج ، ولكن صوت الماكينة التهم كل صرخاتى ، وكان السقف قد وصل الآن الى حوالى قدم أو اثنين فقط من

راسى ثم وانتنى فكرة ان الألم قد يعتمـــد كثيرا على وضع جســـمى فى لحظة موتى الأخيرة ، وانئنى اذا تمددت على وجهى فان الثقل ســـيرتكز على عمودى الفقرى ، وارتعدت من تصور الصـــوت المرعب لتحطم عظام ظهرى وربما الطريقة الأخرى تكون أيسر على ، ومع ذلك كانت لدى الشجاعة الكافية لاســـتلقى على ظهرى وأنظر لأعلى نحو ذلك الظل الأسود المخيف الذى يقترب ويقترب أو كنت عاجزا بالفعل عن الوقوف عندما لاحظت شيئا أعاد الى قلبى الأمل • فقد ســـبق وأن ذكرت لكم أن الأرض والسقف مصنوعتان من المعدن أما جدران الضاغطة فكانت من الخشب ، وبينما كنت ألقى نظرة استطلاع يائســـة أخيرة على المكان لمحت خيطا رفيعا من الضوء الأصـــفر يتخلل لوحين من الألواح الخشبية للجدران وأخذ هذا الضوء يتزايد شيئا فشيئا على أثر جذب باب صغير من الخلف ولم أصدق عينى فى أول وهلة ، وأن من الممكن أن يكون هنا بالفعـــل يوجد باب يقود بعيدا عن الموت ، وفى اللحظة التالية

قذفت بنفسى خــــلال هذا الباب وارتميت الى الجانب الآخر وأنا غائب عن الوعى تقريبا ، وأغلق الباب خلفى مرة أخرى ، وسمعت صوت انسحاق المصباح عندما لطمه السقف ثم سمعت بعد ذلك صوت قمة الضاغطة وهى تلتقى بالقاعدة المعدنية يأتى مدويا فتبينت مدى أهمية ذلك الفرار الذح قمت به ٠

وفجأة شعرت أن أحدا يجذبنى من رســـفى وأنا ممدد خارج الضاغطة ولاحظت أن الأرض حجرية لمر ضيق ، وشعرت بسيدة تمسك بيدها مصـــباحا زيتيا وتنحنى فوقى ٠٠ لقد كانت نفس الصديقة الحنون التى سبق وأن حذرتنى ولكننى كنت من الغباء بحيث لم آخذ تحذيرها بمحمل الجد ٠

وصرخت السيدة قائلة :

ـ تعال ، هيا ، سيكونون هنا خلال دقيقة واحدة وسيلاحظون عدم وجودك ، أوه ٠٠ لا تضيع الوقت الثمين وتعال معى !

واخيرا امتثلت لنصيحتها ونهضت مترنحا ثم عدوت معها خلال الممر وهبطنا سلما ملتويا أدى الى ممر آخر عريض ، وما أن وصلنا اليه حتى سمعنا صوت أقدام تجرى وصياح صوتين ، أحدهما يجاوب الأخر من الدور الذى كنا فيه والآخر من الدور الذى تحته ، وتوقفت مرشــدتى واخذت تتطلع حولها وكأنها لا تعرف كيف تتصرف ، ثم اندفعت لتفتح أحد الأبواب الذى يؤدى الى غرفة نوم بها نافذة يسطع من خلالها القمر براقا . ثم قالت لى :

- انها فرصتك الوحيدة ، ان النافذة مرتفعة ولكن ربما أمكنك أن تقفز !

واثناء حديثها ظهر ضوء عند نهاية الممر ورأيت شكل كابتن ستازك النحيف يندفع فى الظلام للأمام وبيده مصباح وباليد الأخرى سلاح يشبه ســاطور اللحم ، فهرعت عبر حجرة النوم واندفعت أفتح النافذة ونظرت للخارج ، وكم كانت الحديقة تبدو جميلة وهادئة فى ضــوء القمر الجميل ، وكانت النافذة ترتفع حوالى

ثلاثين قدما عن الحديقة فتسلقت حافة النافذة ولكننى ترددت فى القفز اذ تمنيت فى هذه اللحظة أن أسمع مايدور بين ستارك والسيدة التى أنقذت حياتى من الموت ، وقررت بين وبين نفس أن أعود لأساعدها اذا لزم الأمر ومهما كانت المخاطرة ، وفى انبثق هذا الخاطر الى ذهنى قبل أن يصل ستارك الى الباب ثم يدفعها من طريقه ، ولكنها ألقت بذراعيها حوله وحاولت أن تمسك به وتجذبه للخلف وهي تصرخ بالانجليزية :

– فرتز ، فرتز ، تذكر انك وعدت بعد المرة الأخيرة، لقد قلت إنها لن تحدث أبدا مرة أخرى ، أنه سيمسك لسانه أوه .. انه سيمسك لسانه !

فصاح ستارك وهو يجاهد ليتخلص من قبضتها :

– انك مجنونة يا ايليز ، انك ستكونين السبب فى دمارنا .. لقد رأى أكثر من اللازم ، قلت لك دعينى أمر !

ودفعها جانبا ثم اندفع نحو النافذة وضـــربنى بسلاحه الثقيل وكنت فى هذه اللحظة ممسكا بيدى فى

طار النافذة ، فشعرت بألم شديد ، وجعلتنى الضربة أترك النافذة وأسقط هابطا الى الحديقة .

لم يلحقنى ضرر كبير من السقوط ، لذا وقفت على قدمى واندفعت بين الأشـــجار بأسرع ما يمكننى من عدو .

وكنت أعلم أننى لست بعيدا عن الخطر بعد ، الا أننى فجأة بدأت أشعر بالتعب أثناء العدو وتسلل الى شعور بالضعف والاغماء ، فنظرت الى يدى التى كانت تؤلمنى بشدة فى تلك اللحظة فرأيت ولأول مرة أن ابهامى قد بتر وأن الدماء تتدفق من الجرح بغزارة ، فقررت أن أربط منديلى حول الجرح . ولكن فجأة خيل الى أننى أسمع صوت غناء يتردد فى أذنى : وفى اللحظة التالية أغمى على تماما وسقطت على الأرض .

ولا أعرف كم لبثت غائبا عن الوعى ، ولابد أنه كان وقتا طويلا ، اذ وجدت عندما استيقظت أن النهار قد انتشر وأن ملابسى مبتلة تماما ، كما كانت الدماء تكســو معطفى من جراء الجرح الذى فى يدى فقفزت

على قدمى وأنا أشعر اننى لازلت حتى الآن فى متناول يد أعدائى ، ولكن ولدهشتى البالغة نظرت حولى فلم أر أيا من المنزل أو الحديقة ووجدت نفسى ممددا بجانب أحد طرق القرية ولمحت على البعد مبنى طويلا ومنخفض السقف ، فاتجهت اليه ، وكانت تلك هى محطة السكك الحديدية الصغيرة ، والتى كنت قد وصلت اليها فى الليلة السابقة ، ولولا هذا الجرح البشع الذى فى يدي لتصورت أن كل ما حدث خلال تلك الساعات الرهيبة ما هو الا حلم شيطانى بشع !

وتوجهت صوب المحطة وأنا ما أزال فى حالة من الاعياء شديدة ، وسألت عن قطار الصباح فتبين أن هناك قطارا الى ريدنج سيصل فى أقل من ساعة ، وكان موظف السكك الحديدية لازال فى نوبة الخدمة وهو نفس الموظف الذى صادفته عند وصولى ، فسألته ان كان قد سمع من قبل عن كابتن ليساند ستارك ولكن الاسم بدا غريبا على سمعه ونفى انه لاحظ المركبة التى انتظرتنى فى الليلة السابقة فسألته عن أقرب مركز

للشرطة فارشدنى الى أحد مراكز الشرطة على بعد ميل واحد أو اثنين أو ثلاثة أميال من هنا ، وكانت مسافة بعيدة بالنسبة لي وأنا في هذه الحالة من الضعف الشديد فقررت أن أنتظر حتى أعود الى لندن ثم أقص قصتى للبوليس ، ووصلت حوالى الساعة السادسة والنصف فتوجهت أولا لتضميد جرح يدى وبعد ذلك قام الطبيب مشكورا باحضارى الى هنا ، وانني أريد أن أضع هذه القضية بين يديك يامستر هولمز وسأمتثل لنصيحتك تماما !

جلسنا أنا وشيرلوك هولمز بعد الاستماع لهذا السرد غير العادى فى صمت بضع لحظات ثم جذب هولمز من فوق أحد الرفوف واحدا من كتبه السميكة والثقيلة والتى كان من عادته أن يلصق بها القصاصات التى يجمعها من الصحف ثم قال هولمز :

– هاهو اعلان سيثير اهتمامك ، وقد ظهر فى كل الجرائد منذ حوالى عام مضى ، استمع الى هذا .

« فقد فى التاسع من هذا الشهر السيد جيرميه هايلنج ، عمره ٢٦ عاما ، مهندس رى وقد ترك مسكنه فى الساعة العاشرة مساء ولم يسمع عنه شىء منذ ذلك الحين . وكان يرتدى .... » وهكذا ، أجل لابد أنها كانت آخر مرة احتاج فيها الكابتن أن يصلح ماكينته الضاغطة على ما أظن .

فصرخ مريضى قائلا :

- يا الهى هذا يوضح اذن ما ذكرته السيدة !

فقال هولمز :

- لا أشك فى ذلك ، ومن الواضح تماما أن الكابتن ستارك رجل بلا رحمة وقوى الشكيمة ولا يسمح لأى شىء أو أى انسان أن يقف فى طريقه .. ان كل دقيقة الآن لها قيمتها ولهذا يامستر هاثرلى علينا أن نتوجه الى اسكوتلنديارد ثم الى آيفورد اذا كنت تشعر بالقوة الكافية لذلك

وبعد مضى ساعتين أو ثلاث ساعات كنا جميعا معا

بالقطار فى طريقنا من ريدنج الى قرية بيركشاير الصغيرة . وكان معى شيرلوك هولمز ومخبر اسكوتلنديارد ويدعى برادستريت ومعه رجل شرطة آخر بالاضافة لمهندس الرى مستر هاثولى ، وكان برادستريت قد فرد خريطة ذات مقياس رسم كبير وانشغل برسم دائرة لتحديد موقع وسط مدينة آيفورد . ثم قال :

ـ هاهنا هذه الدائرة يبلغ عرضها عشرين ميلا وهى على بعد عشرة أميال من آيفورد فى كل اتجاه . والمكان الذى نريده لابد أن يكون فى مكان ما بالقرب من هذا الخط ، لقد ذكرت مسافة عشرة أميال على ما أظن ياسيدى ؟

فقال مستر هاثرلى :

ـ رحلة المركبة استغرقت أكثر من ساعة

ـ وتعتقد أنهم أعادوك خلال كل هذا الطريق عندما كنت غائبا عن الوعى ؟

– لابد أنهم فعلوا ذلك ، فذاكرتى مشـــوشة فى تصور اننى قد حملت ونقلت الى مكان ما أيضا .

فقلت :

– لا أعرف لماذا لم يقتلوك عندما وجدوك ممددا وغائبا عن الوعى فى الحديقة ، ربما تكون المرأة قد توسلت لستارك أن يدعك تذهب ونجحت فى ذلك .

فأجاب هاثرلى :

– لا أعتقد أن هذا محتمل الحدوث ، فاننى لم ار فى حياتى وجها أكثر قسوة من وجه هذا الرجل !

فقال برادستريت :

– أوه ، أننا سرعان ما سنجد تفسيرا لكل ذلك ولقد رسمت دائرتى ولكننى أتمنى أن أعرف عن أى نقطة منها يمكن أن نعثر على الرجال المطلوبين .

فقال هولمز فى هدوء :

ـ أعتقد أننى أستطيع أن أضع أصبعى على النقطة الصحيحة ·

فصرخ برادستريت :

ـ حقا ، اذن فقد كونت رأيك بالفعل ، حسن ، اذن سنرى من سيتفق معك ، أنا أقول انها من اتجاه الجنوب ، اذ توجـــد بعض المنـــازل القليلة فى هذا الاتجاه ·

فقال مريضى :

ـ وأنا أقول فى الشرق ·

وقال رجل الشرطة الثانى :

ـ وأنا أعتقد أنها ناحية الغرب حيث توجد هناك عدة قرى صغيرة وهادئة ·

فقلت أنا :

ـ وأنا أعتقد أنها فى ناحية الشـــمال نظرا لعدم

وجودت هضاب هناك ومستر هاثرلى يقول انه لم يلاحظ ان المركبة صعدت أى هضبة فى الطريق .

فضحك برادستريت قائلا :

– وهكذا لدينا آراء للشمال والجنوب والشرق والغرب فياترى أى رأى من آرائنا تتفق معه يا مستر هولمز ؟

فأجاب هولمز :

– لا أوافق على أى رأى منهم .

– ولكن لايمكن أن نكون جميعا مخطئين ؟

فأجاب هولمز وهو يضع أصبعه فى مركز الدائرة :

– أوه ، أجل أيمكن .. هاهى نقطتى حيث سنجدهم هنا !

فتساءل هاثرلى فى دهشة :

– ولكن كيف تفسر مسيرة العشرة أميال ؟

– بمنتهى البساطة هى عبارة عن خمسة اميال للخارج وخمسة أميال للعودة ، فقد ذكرت بنفسك ان الحصان كان كامل النشاط عندما صعدت الى المركبة . وهذا من المستحيل تماما اذا كان الحصان قد قام فى التو بالسير مسافة عشرة أميال عبر الطريق الوعرة !

فقال برادستريت فى تفكير :

– أجل ، انه تفسير معقول الى حد كبير ، وبالطبع من السهل استنتاج نوع هذه العصابة .

فقال هولمز :

– أجل انهم من مزيفى العملة ويعملون على نطاق واسع والضاغطة المائية تستخدم لتكوين خليط المعادن الذى يقلدون به الفضة .

فقال برادستريت :

– لقد علمنا منذ بعض الوقت أن هناك نشاطا غير عادى لاحدى العصابات الماهرة ، وانهم قاموا بعمل عدة آلاف من العملات الفضية المزيفة ، وحتى الدلائل

التى لدينا تفوق الى ريدنج ، ولكننا لم نتمكن من المضى قدما فى البحث اذ أنهم اخفوا آثارهم بمهـــارة فائقة ولكننى أعتقد أنهم الآن على وشك الوقوع فى أيدينا .

ولكن برادســـتريت كان مخطئا ، فمثـــل هؤلاء المجرمين لا يقعون فى قبضة البوليس بسهولة أبدا ، فعندما وصــــل القطار الى محطة آيفورد رأينا خطا عريضا من الدخان يرتفع فى الهواء خلف بعض الأشجار بالقرب من القـــرية ، وكان الدخـــان معلقا كالريش الأسود .

وما أن غادرنا القطار حتى سأل برادستريت ان كان هناك منزل يحترق .

فأجابه رئيس المحطة :

ـ نعم ياسيدى !

ـ ومتى اشتعلت النار ؟

ـ سمعت أنها حدثت خلال الليل ياسيدى ، ولكنها اشتدت ، وقد تعرض المنزل للدمار تقريبا الآن .

ـ منزل من هذا ؟

ـ منزل الدكتور بيتشر .

فقاطعه هاثرلى :

ـ قل لى .. هل دكتور بيتشر رجل المانى شديد النحافة وذو أنف حاد طويل ؟

فضحك رئيس المحطة من أعماق قلبه ثم قال :

ـ لا ياسيدى ان الدكتور بيتشر رجل انجليزى ، وهو أكثر الرجال بدانة فى هذه القرية ، ولـــكن لديه سيدا يقيم معه وهو أحد مرضاه على ما أعتقد وهو أجنبى كما أنه بالغ النحافة .

وقبل أن ينتهى رئيس المحطة من حديثه كنا جميعا قد اندفعنا نحو الحريق ، وكان أمامنا فوق هضـــبة منخفضة منزل أبيض ضخم ، وكان اللهيب والدخان يخرج من كل نوافذ المنزل بينما توجد فى الحـــديقة الأمامية ثلاث عربات لاطفاء الحريق فى محاولة يائسة للتحكم فى الحريق وصرخ هاثرلى فى اثارة بالغة :

- هذا هو المنزل ، وهاهى الخميلة التى تمددت فيها وهذه النافذة الثانية هى التى قفزت منها .

فقال هولمز :

- حسن ، على الأقل أمكنك الحصول على ثارك من العصابة ، ولاشك عندى أن مصباحك الزيتى هو الذى أشعل النار فى الجدران الخشبية عندما سحقته الضاغطة . وبالرغم من أن فيرجوسون وستارك كانا بلا شك فى غاية الانفعال والقلق خوفا من أن تلاحظ غنيمتهم ، والآن عليك أن تحتفظ بعينيك مفتوحتين تماما فى هذا الزحام من أجل مراقبة هذين الرجلين .. ولو أننى أخشى من انهما قد يكونا فى الطرف الآخر من انجلترا الآن بالفعل .

وكان هولمز محقا فى استنتاجه ، فمنذ ذلك اليوم وحتى الآن لم يسمع أى شىء عن السيدة الجميلة والألمانى عديم الرحمة أو الرجل الانجليزى الصامت ذى المزاج الحاد .

وفى الصباح المبكر لهذا اليوم تصادف أن التقى احد الفلاحين بمركبة تحمل عدة أشــخاص وبعض الصناديق البالغة الضخامة ، وكانت المركبة تسرع فى اتجاه ريدنج ، ولكن العصابة لم تترك أى آثار أخرى . وحتى هولمز نفسه قد فشل فى اكتشاف أى دليل ، وعلمنا أن رجال المطافىء قد عثروا على ابهام آدمى قد بتر حديثا على حافة احدى النوافذ فى الطـــابق الثانى للمنزل ، وعند غروب الشمس تقريبا نجحوا فى اخماد النيران ، ولكن بعد أن سقط سقف المنزل ولم يبق شىء من آلات التزييف داخل المنزل ، وقد وجدت كتل ضخمة من القصدير ومعادن أخرى فى مبنى خلف المنزل ، ولكن كان واضحا أن المجرمين قد أخذوا معهم كل رأسمالهم من العملات المزيفة فى صناديق ورحلوا بها .

أما لغز حمل مســتر هاثرلى من الحديقة وحتى جانب الطريق فقد تم حل رموزه بســرعة عندما وجد هولمز خطا مزدوجا لآثار أقدام على الأرض الرخوة ، إذ يبدو أن شخصين قاما بحمل المهندس أحدهما نو

اقدام صغيرة جدا بينما كان الشخص الآخر ذا اقدام بالغة الضخامة بصورة غير عادية ، لذا فان الأرجح بصفة عامة أن الرجل الانجليزى الصامت الاقل جراة أو الأقل قسوة من الكابتن ستارك قد ساعد المرأة على حمل الرجل الغائب عن الوعى بعيدا عن طريق الخطر

أما هاثرلى فقد قال فى أسى :

ـ لقد كان أمرا غريبا بالنسبة لى ، لقد فقدت ابهامى ، كما فقدت مبلغ خمسين جنيها ثم اننى فى النهاية لم أحصل على شىء !

فقال هولمز ضاحكا :

ـ لقد اكتسبت خبرة ، ولدك الآن قصة مثيرة وحقيقية وخاصة بك أنت شخصيا حيث يمكنك أن تقصها يوميا وحتى آخر العمر !!

القصـــة الرابعة :

المـــريض المقيـــم !

فى مساء يوم من أيام شهر اكتوبر ، واثناء عودتنا أنا وشيرلوك هولمز الى مسكننا فى شارع بيكر ، بعد جولة طويلة على الأقدام .. وكنت اشارك هولمز فى هذا السكن منذ وفاة زوجتى فى عام ١٨٩٤ . وبالرغم من أن الوقت كان متأخرا الا أننا لاحظنا وجود احـــدى المركبات تنتظر خارج المنزل ، ثم وجدنا سيدا ينتظرنا

فى حجرة الجلوس . وأسرع بالنهوض عندما رآنا ، وكان شخصا فى حوالى الثالثة أو الرابعة والثلاثين من عمره وكانت يداه نحيفتين مثل الفنانين ، وكان يبدو مجهدا ومعتل الصحة ، وكان يرتدى السواد تقريبا .

فقال له هولمز فى سرور :

– مســـاء الخير ، أرجو أن تجلس مرة أخرى وماذا أستطيع أن أفعل لمعاونتك .

فأجاب زائرنا :

– اسمى الدكتور بيرس تريفيليان ، وأقيم فى رقم ٤٠٣ بشارع بروك .

فسألته :

– انك كتبت كتابا عن التشـــنج يادكتور ، أليس كذلك ؟!

بدا السرور الشديد على الدكتور تريفيليان ، وكان

فخورا لأننى أعرف كتابه ، وأصبح وجهه الشـــاحب بالغ الحمرة ، ثم قال :

ـ كنت أعتقد أن الكتاب قد أصبح منسيا تماما ، وقد بيعت بضع نسخ قليلة ، وأظن انك طبيب ياسيدى ؟

فأجبته :

ـ لقد كنت طبيبا بالجيش ، ثم قمت بعمل تدريب خاص لمدة بضع سنوات بعد ذلك .

فقال :

ـ كان موضــوع التشنج هو اهتمامى الشــخصى المفضل ، وأريد أن أمارس العمل على هذا المرض فقط ، ولكن الانسان عليه أن يأخذ مايستطيع أن يحصل عليه ، الا أننى يجب ألا أتحدث أكثر من اللازم حول اهتماماتى الشخصية خصوصا وأننى أدرك أن وقتك ثمين يامستر هولمز ، حسن لقد بدأت تحدث بعض الأشياء الغريبة مؤخرا فى المنزل ببروك ستريت ، والليلة حدث شىء جديد ، فشعرت أننى يجب أن آتى وأطلب نصـــحك ومساعدتك .

جلس شيرلوك هولمز وأشعل غليونه ثم قال :

– مرحبا بك ، وأرجو أن تعطينى صورة كاملة عن تلك الأشياء التى تسـبب لك القلق أطلعنى على كل التفاصيل ٠

فقال الدكتور تريفيليان :

– بعض هذه الأشياء تافه جدا وغير مهم ، ولكن الأمر من الصعب فهمه ، لهذا سأخبرك بكل القصة ٠

اننى رجل جامعى من لندن ، وقد ربحت عدة جوائز أثناء دراستى بالجامعة واساتذتى اعتقدوا اننى سأصبح طبيبا ناجحا ، ثم استأنفت دراساتى بعد ذلك وتعلمت فى مستشفى كينج كوليدج وكتبت كتابا عن التشنج ، ولكننى لم أكن أملك المال ٠٠ والرجل الذى يريد أن يتخصص عليه أن يعيش فى حى راق حول ميدان كافنديش حيث توجد بعض الشـوارع القليلة بالاضـافة لارتفاع الايجارات البالغ ، كما أن على الانسان أن يستأجر حصانا ومركبة ويبتاع أيضا أثاثا يكفى لتأثيث منزل

كامل • وقد احتاج لفترة عشر سنوات لأتمكن من توفير النقود اللازمة لتحقيق ذلك •

ولكنني ياسيدى تعرضت لمفاجأة ضخمة ، ففى أحد الأيام أتى شخص غريب لرؤيتي فى غرفتي بمستشفى كينج كوليدج ، واسم هذا السيد هو بليسينجتون وقد سألني هذا الرجل قائلا :

ـ هل أنت الشاب الذى فاز بالعديد من الجوائز ؟

فأجبته وأنا انحنى :

ـ أجل ، انه أنا •

فقال :

ـ أريد أن أسألك بعض الأسئلة ، فأولا وقبل كل شيء ، هل لديك أى عادات سيئة ، وهل تشرب أكثر من اللازم ؟!

ولم يكن السؤال مؤدبا فصرخت قائلا :

ـ فى الحقيقة ياسيدى ••

فقال :

ـ أرجو ألا تغضب ، فان على أن أسألك هذا السؤال لماذا لا تعمل كاخصائى خاص ؟ وأظن انك لاتملك النقود الكافية لذلك فاننى سأعاونك ، وسأستأجر لك منزلا فى شارع بروك !

فاندهشت جدا واذا به يستطرد قائلا :

ـ أنا أعرض عليك هذا العرض لمصلحتى أنا الخاصة لا لمصلحتك أنت ، وسأخبرك بالحقيقة ، فلدى بضعة آلاف من الجنيهات التى لا استعملها وأريد أن انفق هذا المال عليك .

فسألته :

ـ ولكن لماذا ؟

فأجابنى قائلا :

ـ لأننى أريد أن استثمر نقودى .

فسألته عن دورى فى هذا الأمر ، فقال :

ـ اريدك أن تعمل كطبيب اخصـــائى فى امراض المخ ، وسأبتاع الأثاث لمنزلك ، وأدفع الايجار للمنزل ، كما أننى سأدفع لك كل مصروفاتك اسبوعيا ، على أن تحتفظ بربع دخلك من النقود التى تحصل عليها وتعطينى الثلاثة أرباع الأخرى !

وكان عرضا غريبا يامستر هولمز ولكننى قبلته ، ولم تمض بضعة أســـابيع حتى انتقلت الى المنزل فى شارع بروك ، وجاء مستر بليسينجتون للاقامة معى هناك أيضا حيث قال ان قلبه يعانى من الضعف وانه يحتاج الى الاقامة بالقرب من أحد الاطباء ، ثم قام بتحويل أفضل حجرتين فى الدور الأول الى حجرة نوم وحجرة معيشة له ، وكانت له عادات غريبة ، فقد كان يبدو بلا أصدقاء ونادرا جدا ما يخرج ويأتى مساء كل يوم وبانتظام الى مكتبى لمعرفة مكســـبى ، فيأخذ كل النقود ثم يعيد الى الربع بالضبط ويأخذ باقى النقود بعيدا الى صندوق متين يضعه فى حجرة نومه ٠

وكنت ناجحا جدا فى عملى كأخصائى يامســـتر

هولمز حتى اننى خلال العام الاخير جعلت منه رجلا ثريا ٠

ومنذ بضعة اسابيع ماضية ، هبط مستر بليسينجتون ليتحدث معي وذكر أن عملية سطو قد حدثت أخيرا فى لندن ، وكان يبدو منزعجا ومتوترا بدرجة تدعو للاندهاش ، وأراد أن يحضر عمالا لوضع أقفال قوية على أبوب ونوافذ منزلنا ٠ وظل حوالى أسبوع وهو فى هذه الحالة الشاذة من القلق ، ولم يكف أبدا عن التطلع من النافذة فى قلق ، ولم يخرج من المنزل اطلاقا ، وكان يبدو أنه يعانى خوفا رهيبا من شيء ما أو شخص ما ، ولما سألته عن ذلك أجابنى فى وقاحة شديدة ولكنه مع مرور الوقت بدأ ينسى مخاوفه تدريجيا ٠

ثم حدث شيء فى منزلنا أعاد اليه كل مخاوفه ، ومنذ يومين تسلمت خطابا سأقرأه عليك يامستر هولمز، ولم يكن على الخطاب أى عنوان أو تاريخ ٠٠٠٠

عزيزى الدكتور تريفيليان ٠٠ اننى نبيل روسى الا

أنني أعيش الآن في لندن ، وأعاني من التشـــنج منذ عدة سنوات ، ونظرا لأنك أخصائي للمخ عظيم ومشهور، فأنني أرغب في رؤيتك ، وسأتصل بك حوالي الساعة السادسة والربع من مساء الغد) .

وبالطبع كنت منتظرا بمكتبي في المساء التالي ، وكان هذا الروسي رجلا نحيلا كبيرا في السن ، ولم يبد عليه مظهر النبلاء ، وكان معه شاب طويل وسيم وذو وجه أسمر شرس ، بالاضافة الى قوة صدره وذراعيه . وقام الشاب بوضع يده تحت ذراع الرجل العجوز في رقة لمعاونته أثناء دخولهما . ثم ساعده على الجلوس ، وقال في صوت يدل على أنه أجنبي :

ـ أرجو أن تغفر لي حضوري مع والدي يادكتور .

فأجبته :

ـ ان هذا مقبول تماما ، هل تحب ان تظل مع والدك اثناء فحصي له ؟

فقال :

– لا ، شكرا ، سأعود الى حجرة الانتظار .

ثم خرج الشاب والتفت أنا الى الرجل لأبدأ فى تشخيص مرضه ، وكان الرجل على شىء من الغباء ، كما أنه لايتحدث الانجليزية جيدا لذا كان الأمر صعبا .

وفجأة توقف الرجـــل العجوز عن الاجابة على أسئلتى ، ولاحظت أنه يجلس فى صلابة شديدة وهو يحملق فى بنظرة فارغة وغريبة ، لقد كان يعانى من حالة تشنج ، وانفعلت بالطبع وبدأت أفحصــــه بعناية شديدة ودونت ملاحظاتى على حالته ، وكان يبدو فى حالة تطابق نفس حالة الذين يعانون من هذا المرض ، وقررت أن أعطيه بعض العلاج وأن أجعله يســـتنشق مســتحضرا يســـمى نترات الأميل ، وكانت زجاجة المستحضر فى الخزن خلف حجرة المكتب ، لذا ذهبت لاحضارها . ولسوء الحظ اســـتغرقت حوالى خمس دقائق فى العثور على الزجاجة ثم عدت الى مكتبى مرة أخرى ، ولم يكن الرجل العجوز هناك يامستر هولمز،

وغرفة الانتظار كانت خالية أيضا . والخدم لم يسمعوا شيئا وسرعان ما عاد مستر بليسينجتون الذى كان بالخارج فى جولة قصـــيرة ، ولكننى لم اطلعه على الاختفاء الغريب لعملائى الروس .

حسن ، لم افكر فى أن الروسيين يمكن أن يعودا مرة أخرى ، ولكنهما حضرا مرة أخرى فى حوالى الساعة السادسة والربع من هذا المساء ودخلا مكتبى حيث قال الرجل العجوز :

– اننى آسف جدا يادكتور على انصرافى المفاجىء أمس .

فأجبته :

لقد اندهشت جدا !

– يمكننى أن اشـــرح لك ، عندما أفيق من نوبة التشنج ، دائما ما أشـــعر أن عقلى فارغ ، وبالأمس حينما أفقت وجدت نفس فى حجرة غريبة ولم أعرف مكانى ، لذا فقد خرجت بمنتهى البساطة الى الشارع .

فقال الابن معقبا :

عندما رأيت والدى خارجا من مكتبك ، تصورت أن الفحص قد انتهى ، ولم أتبين ما قد حدث بالفعل الا عندما وصلنا للمنزل .

فقلت لهما ضاحكا :

ـ حسنا ، الآن فهمت كل شىء

ثم استدرت نحو الرجل العجوز وقلت له :

ـ ساستأنف الفحص الآن ، اذا كنت ترغب فى ذلك ياسيدى !

ومكثت حوالى نصف الساعة وأنا أناقش الرجل العجوز فى مظاهر مرضه وأعطيته أفضل نصيحة ممكنة ثم انصرف هو وابنه .

أما مســـتر بليسينجتون الذى اعتاد على القيام بجولة يومية فى هذا الوقت فقد حضر بعد ذلك مباشرة وتوجه الى سكنه ، ولم تمض برهة حتى سمعته يهبط مرة أخرى وهو ، يجرى مندفعا الى حجرة مكتبى ،

وكان يبدو عليه الجنون تقريبا من شدة الخوف واخذ يصرخ قائلا :

- من الذى دخل سكنى ؟

فقلت له :

- لا أحد .. !

فصرخ قائلا :

- هذا كذب ، اصعد معى وانظر !

صعدت معه حيث أشار الى آثار أقدام عديدة فوق السجادة ذات اللون البنى الفاتح ، وقال مستر بليسينجتون :

- بالتأكيد هذه الآثار ليست آثار أقدامى .

ولاحظت فعلا أن هذه الآثار كانت أكبر بكثير كما بدت أنها حديثة تماما ، خصوصا وأنها قد أمطرت بشدة هذا المساء كما تعلم ، وكان الروسيان هما زوارى الوحيدين فى هذا المساء ، ولابد أن الشاب قد صعد

الى حجرة بليسينجتون ، ولكن لماذا ؟ اذ لم يكن هناك أى شىء مفقود على الاطلاق • واندهشت لرؤية مستر بليسينجتون يبكى ، وكان يتكلم بصــعوبة ولكنه ذكر اسمك ، وبالطبع حضرت الى هنا فورا وهو سيستريح جدا اذا استطعت أن تعود معى فى مركبتى •

لم ينبس هولمز بشىء ، وانمــا ناولنى قبعتى فى بساطة ، والتقطت قبعته من على المنضــدة ثم لحق بالدكتور تريفليان خارج الحجرة ، ووصلنا الى منزله بشــارع بروك بعد ربع ســاعة حيث قادنا خادم الى الداخل ، الا أن أحــدهم قام فجأة باطفاء النور فى القاعة • وسمعنا هذا الشخص يقول فى صوت مرتعد :

ـ ان معى مسدس ، وسأطلقه اذا اقترب أحد •

فصرخ الدكتور فى غضب :

ـ ان هذا مســلك فى منتهى الغباء يامســز بليسينجتون •

فأجاب الصوت فى راحة :

ـ أوه ، انه أنت يادكتور ، ولـــكن من هم هؤلاء السادة ؟

ثم أشعل الرجل النور مرة أخرى ، وأخذ يتفحصنا في عناية . وكان رجلا بالغ البدانة ، ولكنه يبدو أنه كان أكثر بدانة من قبل نظرا لترهل جلد وجهه بصورة تفتقر للصحة تماما ، وكان شعره أحمر خفيفيا . وأعاد مسدسه الى جيبه ثم قال :

ـ كل شيء على مايرام الآن ، ويمكنك أن تصعد ، أرجو الا أكون قد أزعجتك ، كيف حالك يامستر هولمز ؟ انك بالغ الكرم ، ويجب عليك أن تنصحني . وأظن أن الدكتور تريفليان قد أخبرك بالفعل بما حدث ؟

فأجابه هولمز :

ـ أجل قد فعل ومن هؤلاء الأغراب يا مستر بليسينجتون ولماذا تعتبرهم من أعدائك ؟

فأجاب الرجل البدين :

- لا أعرف بالطبع ، ولكن أرجوك أن تصعد الى سكنى .

وصـــعدنا جميعا الى حجرة نومه ، كانت حجرة فسيحة ومريحة الأثاث .. وقال الرجل وهو يشير الى صندوق أسود كبير فى طرف الفراش :

- اننى لم أكن أبدا رجلا ثريا يامســـتر هولمز ، ولكننى لا أحب البنوك لذا تجدنى فى غاية القلق بشأن هذا الموضوع .

ونظر هولمز الى بليسينجتون بطريقته الغريبة ثم هز رأسه وقال :

- لا أستطيع بأية حال أن أنصحك ، اذا كنت تحاول أن تخدعنى .

فقال بليسينجتون :

- ولكننى قد أخبرتك بكل شىء .

فاستدار هولمز وهو يقول :

- عمت مساء يادكتور تريفيليان .

فصرخ بليسينجتون في صوت ضعيف :

- ولكن ألن تمنحني اى نصيحة ؟

فاجابه هولمز :

- نصيحتى لك ياسيدى هى ان تقول الحقيقة .

وبعد دقيقة كنا في طريقنا الى منزلنا ، واثناء سيرنا في شارع هارى قال هولمز :

- انني آسف على خروجنا هكذا بدون فائدة هذا المساء ياواطسون ، ولو ان موضوع شارع بروك هذا مثير الى حد ما .

فقلت له مؤيدا :

- انني لا أفهمه على الاطلاق .

- حسنا ، هذان الرجلان ينويان الحاق الضـــرر ببليسينجتون لسبب من الأسباب ، وقد صعد الشاب الى

مسكن بليسينجتون فى كلا اليومين اننى متأكد من ذلك، وبالصدفة كان بليسينجتون بالخارج :

فقلت لهولز :

– ولكن الدكتور تريفيليان يعتقد أن الرجل العجوز يعانى من التشنج فعلا .

– ليس من الصعب تقليد حالة التشنج ياواطسون أنا نفسى فعلت ذلك .

– ولماذا اختار الرجـــلان مثل هذا الوقت غير العادى . ؟

– حتى لايكون هناك أحد آخر فى غرفة الانتظار ياواطسون ومن السهل ملاحظة أن بليسينجتون خائف على حياته ، وهو بالطبع يعرف من هم هؤلاء الأعداء المرعبين ، وربما فى الغد يكف عن سرد الأكاذيب .
نهض هولمز فى صباح اليوم التالى فى حوالى الساعة السابعة والنصف وقال :

– هناك مركبة تنتظرنا ياواطسون .

فسألته :

ـ ما الخبر ؟

ـ لقد تلقيت مذكرة من دكتور تريفيليان يقول فيها (احضر فى الحال) ولاشىء غير ذلك .

وبعد عشـــرين دقيقة كنا أمام منزل الطبيب مرة أخرى ، واذا به يهرع لملاقاتنا ووجهه بالغ الشحوب ، ثم صرخ وهو يضع يديه على عينيه قائلا :

ـ أوه انه شىء فظيع !

فسألناه عما حدث فأخبرنا أن بليسينجتون قد قتل نفسه ، فأطلق هولمز صفيرا ، واستمر دكتور تريفيليان يقول :

ـ نعم ، لقد شنق نفسه أثناء الليل !

فدخلنا معه الى حجرة الانتظار فى المنزل حيث قال لنا :

- البوليس فوق بالفعل ، هذه الوفاة كانت صدمة فظيعة بالنسبة لى ٠

فتساءل هولمز :

- متى تم العثور عليه ؟

- اعتادت احدى الخادمات أن تقدم له قدحا من الشاى فى الساعة السابعة صباحا كل يوم ، وعندما توجهت الى حجرة نومه هذا الصباح رأت الرجل المسكين معلقا فى وسط الحجرة ، وقد ربط حبلا فى الخطاف الذى يتدلى عادة منه المصباح الثقيل ، وقد قفز من أعلى صندوقه المتين الذى عرضه علينا أمس ٠

فقال هولمز بعد لحظة من التفكير :

- أريد أن أصعد الآن ٠٠

وصعدنا جميعا الى حجرة نوم بليسينجتون ، وكان الجسد لايكاد يبدو آدميا ، بينمارجل الشرطة الى جواره يدون بعض الملاحظات فىمفكرته فبادرنا بقوله :

– آه يامستر هولمز ، أننى سعيد جدا لرؤيتك .

فقال هولمز :

– صباح الخير يالانر ، هل سـمعت كل احداث الأيام القليلة الأخيرة ؟

– أجل

– اذن ماهو رأيك فى هذا الموضوع ؟

– أعتقد أن الرعب قد أدى الى جنون بليسينجتون وقد توجه الى الفراش ، اذ أن فراشه قد استعمل كما ترى ، ثم نهض فى حوالى الساعة الخامسة وشـنق نفسه .

وتحسست الجسد ثم قلت :

– نعم ، يبدو أنه مات منذ حوالى ثلاث ساعات

فسأل هولمز ضابط الشرطة :

– وهل وجدت شيئا غير عادى فى الغرفة ؟

– حسنا يا سيدى ، يبدو أن مستر بليسينجتون قد دخن كثيراً خلال الليل ، فقد وجدت هذه الأطراف لأربعة من السيجار فى المدفأة ٠

نظر هولمز اليهم ثم قال :

– وهل وجدت ماسك السيجار الخاص ببليسينجتون ؟

– لا لم أر شيئا من هذا ٠

– وأين علبة السيجار الخاصة به ؟

– هاهى ، لقد وجدتها فى جيب معطفه ٠

فتحها هولمز وشم السيجار الواحد الذى بها ثم قال :

– أوه ! هذا سيجار من النوع الكوبى أما الآخرين فهم من النوع الألمانى ٠

وأخرج عدسته المكبرة وأخذ يفحصهم بها ثم قال :

– اثنان منهم تم تدخينهما خلال ماسك السيجار

أما الاثنان الآخـــران فلا ، كما ان اثنين تم تقطيعهما بسكين غير حادة بينما الاثنان الآخران تم قضـــمهما باسنان ممتازة ، ان مستر بليسينجتون لم يقتل نفسه بالانر ولكنه قتل .

فصرخ لانر :

ـ هذا مستحيل !

ـ لماذا ؟

ـ القتلة لايشنقون الناس أبدا ، وفي هذه القضية كيف أمكنهم الدخول الى هنا ؟

ـ من خلال الباب الأمامي .

ـ كان قضيب غلق الباب مثبتا هذا الصباح .

ـ لأن شخصا ماداخل المنزل ثبت هذاالقضيب ، وسأخبرك خلال دقيقة واحدة كيف تم هذا القتل .

توجهنا الى الباب وفحصنا القفل ثم أخذ المفتاح وفحصه أيضا ، ثم نظر بعد ذلك على الفراش والسجادة

والمقاعد والجسد الميت ثم الى الحبل ، وفى النهاية اخبرنا انه قد انتهى من فحصه . فقطعنا الحبل واسجينا الجسد برفق على الفراش ، ثم غطيناه بملاءة .

فسأل هولمز :

- ولكن من أين جاء هذا الحبل ؟

فأجاب الدكتور تريفيليان :

- لقد قطعه من هذا الحبل الطويل .

ثم عرض علينا حبــــلا جذبه من تحت الفــراش وقال :

- لقد كان الرجل يخاف من النار خوفا شديدا وكان يحتفظ بهذا الحبل دائما بالقرب منه حتى يستطيع أن يتسلق النافذة اذا احترقت السلالم .

فقال هولمز :

- أجل ، كل الحقائق واضحة الآن ، واتمنى أن أستطيع فورا أن أقول لكم أسباب كل شىء أيضـــا ،

وسأستعير هذه الصورة الفوتوغرافية لبليسينجتون ، فقدتساعدني في تحرياتي .

فصرخ دكتور تريفيليان :

ـ ولكنك لم تخبرنا بشيء .

ـ آه ، هناك قاتلان ، هؤلاء الرجال الذين تظاهروا بأنهم نبلاء روس ، وقد عاونهم واحد من خدمك هنا .

فقال الطبيب :

ـ رجلى .. لقد اختفى بالتأكيد .

فاستطرد هولمز قائلا :

ـ لقد دخل القتلة الى المنزل ، وباب مستر بليسينجتون كان مغلقا ، ولكنهم أداروا المفتاح من خلال قطعة سلك متينة ويمكنك أن تلاحظ الخدوش وحتى بدون عدسة مكبرة ، ولابد أنهم قد ثبتوا منديلا فوق فم مستر بليسينجتون لمنعه من الصراخ ، ثم عقدوا نوعا من المحاكمة ، محكمة كانوا هم أنفسهم فيها القضاة ،

وخلال هذه المحاكمة دخنوا السـيجار ، ولما انتهت المحاكمة أخذوا بليسينجتون وشنقوه ثم انصرفوا وبعد ذلك ثبت الخادم القضـيب على الباب الأمامى بعد انصرافهم • فهرع لانر ليحاول أن يعثر على الخادم وعدنا أنا وهولمز الى شارع بيكر لتناول الافطار •

وعندما انتهينا من تناول وجبتنا ، قال هولمز :

ـ سأعود فى الساعة الثالثة ، حيث سـيقابلنى الدكتور تريفيليان ولانر حينئذ •

وفعلا وصل ضابط البوليس والطبيب فى الساعة الثالثة ولكن هولمز لم ينضم الينا الا فى الساعة الرابعة الا الربع ، ولاحظت انه مسرور ، وتساءل هولمز عند وصوله قائلا :

ـ هل لديك أى أخبار يالانر ؟

فأجابه لانر :

ـ لقد أمسكنا بالخادم ياسيدى •

ـ ممتاز وأنا اكتشـــــفت من هم هؤلاء القتلة ، واسماؤهم هى بيدل وهايوارد ٠

فصرخ لانر :

ـ لصوص بنك وورثنجدون ؟

ـ نعم ، والرجل الذى استخدم اسم بليسينجتون كان واحدا منهم ٠

فقال لانر :

ـ اذن اسمه الحقيقى لابد أن يكون سوتون ، ان كل شىء واضح الآن ٠

وكنت أنا وتريفيليان لازلنا لانفهم شيئا ٠

فقال هولمز :

ـ هل تذكرون عملية الســـــطو الكبرى على بنك وورثنجدون ٠ كان هناك أربعة لصوص ، بيدل وهيوارد وسوتون ورجل يدعى كارترايت وقد قتل أحد حراس الليل ، وهرب اللصوص بمبلغ سبعة آلاف جنيه وحدثت

هذه العملية منذ خمسة عشر عاما ، وفى المحاكمة لم تكن هناك ادلة كثيرة ضد هؤلاء اللصوص ، ولكن الرجل بليسينجتون الذى هو سوتون قرر أن يساعد البوليس فكانت النتيجة أن كارترايت قد شنق بينما أرسل بيدل وهيوارد الى السجن لمدة خمسة عشر عاما ، وعندما أفرج عنهما قررا أن يعاقبا سوتون الذى هو بليسينجتون لما قد اقترفه فى حقهم منذ خمسة عشر عاما .

ولكن لم يعاقب أحد من أجل موت بليسينجتون ، اذ بعد ذلك بقليل تعرض بيدل وهيوارد للغـــرق أثناء غرق باخرة تدعى نوراكينا عند شـــاطىء البرتغال ، أما الرجل الذى كان يعمل مع الطبيب ، فلم يكن هناك دليل كاف على ادانته . ومن الغريب أنه حتى الآن لم ينشر بيانا كاملا عن لغز قضية شارع بروك .. !

القصــة الخامسة :

اختفاء ليدى فرانسيس كارفكس

ـ هل هو تركى ياواطسون ؟

قال هولمز ذلك وهو ينظر الى حذائى ٠

فأجبته قائلا :

ـ لا ، انه بالطبع صناعة انجليزية ، لقد اشتريته هنا من لندن من شارع لاتيمر فى أكسفورد ٠

فابتسم هولمز قائلا :

– اننى لم أكن أتكلم عن حذائك ياواطسون ، أنا أتكلم عن الحمام ، انك أخذت حماما تركيا اليوم ، أليس كذلك ؟

– أجل فعلت ولكن كيف عرفت ذلك ياهولمز ؟

– لقد نظرت ياعزيزى واطسون الى حذائك .

فقلت له :

– ربما أكون على شيء من الغباء ، لأننى لا أفهم العلاقة التى تربط بين زوج من الأحذية الانجليزية وبين الحمام التركى .. فهل تشرح لى ذلك ؟

فقال هولمز :

– ان الأمر فى منتهى البساطة ، أن من عادتك أن تعقد رباط حذائك بطريقة فريدة ولكنه اليوم معقود بعقدة مزدوجة جميلة ، لذا يكون من الجلى أنك قد خلعته وأن شخصا آخر قد عقده لك ، من كان هذا الشخص ؟ ..

رجل فى متجر للأحـــذية ؟ لا أظن لأنك ابتعت بعض الأحذية الجديدة منذ أسبوع مضى فقط ، اذن فهو ليس رجلا فى مخل الأحذية ، انه الخادم فى الحمام التركى ان الأمر بسيط ، أليس كذلك ؟ ولماذا ياواطسون ذهبت الى الحمام التركى ؟

ـ لأننى كنت أشعر بثقل الســنين والمرض خلال الأيام القليلة الماضــية والحمام التركى عادة يجعلنى أشعر بتحسن مرة أخرى ٠

ـ انك تحتاج الى تغيير ياواطسون ، وأقترح عليك سويسرا ، هل تحب أن تقيم فى أحسن فندق بمدينة لوزان ؟ ستعيش هناك كالملك وسيكون ذلك مجانا بالكامل وطبعا ستسافر فى الدرجة الأولى بالقطار !

فقلت له :

ـ هذا رائع ، ولكن لماذا تعرض على عرضا كهذا ؟

لم يرد هولمز وانما اتكأ للخلف ثم التقط مفكرته من جيبه ثم بدأ هولمز يتحدث أخيرا فقال :

- الدجاج ياواطسون لا حول ولا قوة له بين الحيوانات · والسيدات غير المتزوجات اللاتى يتجولن حول العالم من فندق لآخر يعرضن أنفسهن لخطر بالغ من الناس الأشرار ، ومثل هذه السيدة لو اختفت لن يفتقدها أحد انى أخشى جدا من حدوث أذى فظيع لليدى فرانسيس كارفكس ·

ثم استطرد هولمز قائلا :

- ليدى فرانسيس ياواطسون هى العضو الأخير لأحدى العائلات النبيلة ، وقد توفى والدها وأشقاؤها جميعا ، وهى لا تعتبر امرأة ثرية ولكنها تملك بعض المجوهرات الاسبانية القديمة المصنوعة من الفضة والماسات الجميلة ، وهى تحب هذه المجوهرات جدا ، وترفض دائما أن تتركها فى البنك الذى تتعامل معه لحمايتها ، لذا فهى تحمل هذه الماسات معها فى كل مكان ، واننى حزين ياواطسون من أجل ليدى فرانسيس كارفكس ، أنها ليست عجوزا ، فهى لازالت امرأة جميلة الا أنها وحيدة تماما فى هذا العالم !

فتساءلت :

ـ وماذا حدث لها ؟

ـ آه ياواطسون ، هذا هو اللغز الذى علينا أن نتعامل معه ، اننى حتى لا أعرف ما اذا كانت على قيد الحياة أم أنها ماتت ، انها سيدة ذات عادات بالغة التنظيم ، وخلال السنوات الأربع الماضية قامت بكتابة خطاب كل أسبوعين الى ممرضـــتها العجوز ، وهذه المرضة وتدعى مس دوبنى تقيم فى كامبرويل هنا فى لندن . ومس دوبنى هى التى طلبت معونتى اذ لم تكتب لها ليدى فرانسيس منذ حوالى خمسة أسابيع ، وقد وصل خطابها الأخير من الفندق الوطنى فى لوزان ، ويقول مدير هذا الفندق ان الليدى رحلت بدون أن تذكر عنوانها لأحد ، ومس دوبنى فى غاية القلق عليهـــا ، بالإضافة لابناء عمومة ليدى فرانسيس النبلاء الأغنياء ، لذا لن نسعى كثيرا من أجل النقود ياواطسون .

ـ وهل مس دوبنى هى الشـــخص الوحيد الذى تراسله ليدى فرانسيس هنا فى انجلترا ؟

- لا ، هناك أيضا مدير بنكها ، وقد تحدثت اليه ، وقد أطلعنى على شيكاتها المستعملة ، حيث يوجد اثنان منهم حديثى التاريخ الأول بمبلغ خمسين جنيها وكان محررا لمس مارى ديفين ، وقد سددت النقود لمس ديفين منذ أقل من ثلاثة أسابيع من خلال أحد البنوك بمونت بيليه فى جنوب فرنسا .

فسألت هولمز :

- ومن هى مس مارى ديفين ؟

فأجاب هولمز :

- لقد توصلت الى ذلك بالفعل ، انها خادمة ليدى فرانسيس ولكننى لم أتوصل بعد الى السبب الذى يجعلها تعطيها هذه الشيكات الا أننى لا أشك انك ستستطيع اكتشاف هذا السببُ .

- أنا ياهولمز ؟!

- أجل ياواطسون ، ولهذا اقترحت عليك قضاء عطلة فى سويسرا ، وأنت تعلم أننى لا أستطيع بأية حال

أن أترك لندن الآن ، والا سيشعر بوليس لندن بالوحدة اثناء سفرى ، لهذا يجب ان تذهب أنت ياواطسون على أن تكتب لى ببرقية اذا احتجت الى نصيحتى ٠

وبعد مضى يومين كنت فى الفندق الوطنى بمدينة لوزان ، وأخبرنى مستر موسر مدير الفندق أن الليدى فرانسيس مكثت هناك عدة أسابيع وأن كل من صادفها قد أعجب بها جدا ، ولم تكن تزيد فى العمر عن أربعين عاما وأنها لاتزال امرأة جميلة ، ويستطيع المرء أن يتبين أنها كانت جميلة جدا فى يوم من الأيام ، ولم يعرف مستر موسر أن لديها مجوهرات ثمينة ٠ على أن الخدم لاحظوا وجود صندق ضخم ثقيل كان دائما مغلقا ، والخادمة مارى ديفين كنت أيضـــا معروفة مثل ليدى فرانسيس نفسها ، وهى فى الواقع كانت ستتزوج أحد السفرجية بالفندق ، ولم أجد صعوبة فى الحصول على عنوانها وكان ١١ – دى تراجان ، ولابد أنه شـــارع تراجان بمونبليه فى فرنسا ، وقد دونت ذلك فى مفكرة صغيرة وكنت فخورا بمهارتى ، وهولمز نفسه لم يكن ليستطيع أن يجمع معلومات أكثر من ذلك ٠

ولكن مازال هناك اللغز الكبير ، ماهو السبب فى قرار ليدى فرانسيس المفاجىء بالرحيل ؟ كانت سعيدة جدا فى لوزان ، والجميع كانوا يتوقعون أن تمكث عدة شهور ، وكان سكنها جميلا ويطل على بحيرة جنيف ، ومع ذلك رحلت فجأة بهذه الصورة حتى انها دفعت أجر أسبوع للفندق بلا مقابل ، ولم يفهم مستر موسر السبب وراء ذلك ، وكان جولس فيبارت الساقى الذى سيتزوج مارى ديفين هو فقط الذى كان قادرا على امدادى بشىء من المعلومات المفيدة ، حيث ذكر جولس أن رجلا طويلا وأسمر اللون وذا لحية قد زار الفندق قبل رحيل ليدى فرانسيس بيوم أو اثنين • وقال جولس فيبارت فى انفعال أن هذا الرجل كان يشـــبه الحيوان المفترس ، وكان يســـكن فى مكان ما فى المدينة وقد رآه فيبارت ومارى وهو يتحدث مع الليدى عند البحيرة فى جدية شديدة ، وعندما جاء الرجل للفندق فى المرة التالية رفضـــت ليدى فرانسيس أن تراه ، وكان هذا الرجل انجليزيا ولكن فيبارت لم يعرف اســـمه ، وقد تركت

ليدى فرانسيس لوزان بعد ذلك مباشرة ، ويعتقد كل من فيبارت ومارى أن زيارة الرجل الانجليزى الغريب كانت وراء قرار ليدى فرانسيس بالرحيل ، وسألت فيبارت عن السبب فى ترك مارى لخدمة ليدى فرانسيس ، ولكنه رفض الاجابة فقال لى انه لايستطيع أن يخبرنى ، واننى اذا كنت مصرا على معرفة ذلك فعلى أن أذهب الى مونت بيليه وأسأل مارى بنفسى .

وبعد هذا الحوار مع مستر موسر وفيبارت حاولت أن أعرف المكان الذى ذهبت اليه ليدى فرانسيس بعد أن تركت لوزان ، واكتشفت أن هناك شيئا من الغموض ربما كانت ليدى فرانسيس تحاول الهروب من شخص ما ؟ ومن الغريب حقا أن حقائبها وصناديقها لم تأخذ علامات واضحة ، وقد وصلت الى بادن بادن فى ألمانيا ومعها متاعها بعد رحلة دوران كبيرة ، وقد تبينت ذلك من خلال أحد وكلاء السفر المحليين .

لذا فقد ابتعت لنفسى تذكرة سفر الى بادن بادن وقبل أن أترك لوزان أرسلت تلغرافا لهولمز ضمنته تقريرا

حول كل ما قمت به من أعمال . وقد رد على هولمز بأنه فخور بى ، ولم أتبين اذا كان جادا أم يهزل .

وفى بادن بادن أخبرونى أن ليدى فرانسـيس قد مكثت أسبوعين فى فندق انجليزى ، وأنها قابلت فى الفندق رجلا يدعى الدكتور شليسنجر وزوجته ، وكان الدكتور شليسنجر مبشرا دينيا وكان يعمل هو وزوجته فى جنوب أفريقيا حيث سقط مريضا وليدى فرانسيس كانت سيدة متدينة جدا لذا فان معرفة مثل هذا الرجل الطاهر تعتبر شـرفا بالنسبة لها ، فرحبت فرانسيس بمساعدة مسز شليسنجر فى العناية بزوجها المريض . وقد اعتاد الرجل على الجلوس طول اليوم على مقعد يتم تجهيزه كالفراش خـارج الفندق وعلى كل جانب تجلس سيدة ، وكان الدكتور يعد خريطة دينية لمصر ، كما كان يكتب أيضا كتابا حول نفس الموضوع ، ولما تحسنت صحة دكتور شليسنجر الى حد ما أخيرا عاد هو وزوجته الى لندن ، وقد ذهبت ليدى فرانسيس معهما ودفع لها الدكتور شليسنجر فاتورة الفندق ، وقد مضت

الآن ثلاثة اسابيع على رحيلهم ، وسألت المدير عن مارى ديفين خادمة ليدى فرانسيس فأجاب :

ـ انها رحلت قبل بضـــعة أيام من رحيل عائلة شليسنجر وليدى فرانسيس الى انجلترا ، وكانت تصيح فى جلبة شديدة وقالت انها لاتريد أن تعمل كخادمة ابدا مرة أخرى .

وأطرق المدير قليلا ثم استطرد قائلا :

ـ انك لســـت أول شـــخص يسألنى عن الليدى فرانسيس كارفكس فمنذ أســـبوع مضى جاء الى هنا رجل انجليزى لتوجيه بعض الأسئلة عنها .

فسألته :

ـ هل أخبرك عن اسمه ؟

ـ لا .. لقد كان رجلا غريبا جدا !

ـ هل كان يشبه الحيوان المفترس ؟

قلت له ذلك وأنا أفكر فيما أخبرنى به جولس فيبارت فى لوزان .

فأجاب المدير :

ـ أجل .. حيوان مفترس ، ان هذا يعتبر وصفا دقيقا له ، كان رجلا ضخما بوجه أسمر ولحية ، كان يشبه فلاحا خشنا شرسا ، ولم أحب ان اكتسب عداوته .

بدأ تفسير اللغز يتضح ، بالفعل هذا الرجل الشرير القاسى كان يتعقب السيدة الصالحة المسكينة من مكان لمكان ، وكان واضحا أنها كانت فى خوف فظيع منه والا ما كانت قد تركت مدينة لوزان وهاهو قد تعقبها الآن حتى بادن بادن . وسيدركها ان عاجلا أم آجلا ، وهل أمسك بها فعلا ؟ ربما ، وهل هذا هو تفسير اختفائها ؟

وتمنيت فى هذه اللحظة أن يتمكن دكتور شليسنجر الصالح وزوجته من حمايتها من ذلك الرجل الاثيم .

واخبرت هولمز فى تلغراف آخر أننى قد اكتشفت من الذى يرجع اليه اللوم فى هذا الموضوع ، ولكننى بدلا من الرد تسلمت هذه الكلمات :

(أرجو أن تصبف أذن دكتور شليسنجر اليسرى) ٠

ولم تبهجنى نكتة هولمز الصغيرة بل أنها فى الحقيقة أزعجتنى الى حد كبير ٠

وتوجهت بعد ذلك الى مونت بيليه لرؤية مارى ديفين التى كانت متعـــــاونة جدا ٠ وقالت انها أحبت ليدى فرانسيس ، ولكنها لم تعد حنونا عليها مؤخرا بل أنها قد اتهمتها أيضا بالسرقة ، فسألتها عن الشيك بمبلغ الخمسين جنيها ، فقالت انه كان هدية لأنها ستتزوج قريبا ٠ ثم تحدثنا عن الانجليزى الغريب فقالت مارى :

- آه ٠٠ انه رجل سيىء ، رجل شرس وفظيع ، لقد رأيته بنفسى يمسك بقبضة ليدى فرانسيس ويؤلمها كان ذلك عند البحيرة فى لوزان ياسيدى !

وكانت مارى متأكدة أن الخوف من الرجل كان

السبب في رحلات ليدى فرانسيس المفاجئة ، كانت الليدى المسكينة تحاول ان تهرب منه ، ثم قالت مارى فجاة في صوت خائف :

ـ ولكن انظر ياسيدى ، انه بالخارج هناك ، نفس الرجل ٠

فنظرت من النافذة ، ورأيت رجلا طويلا أسمر اللون ذا لحية سوداء ضخمة ، وكان الرجل يسير متمهلا في منتصف الطريق وقد أخذ يتطلع الى أعلى بحثا عن أرقام المنازل ، وكان واضحا أنه مثلى يبحث عن مارى، فاندفعت في غضب خارج المنزل وتحدثت معه قائلا :

ـ هل أنت انجليزى ؟

فأجاب في وقاحة :

ـ انني لا أريد أن أتحدث معك ٠

ـ أتسمح بأن أسألك عن اسمك ؟

ـ لا ، لا أسمح ٠

كان موقفا عصيبا والأسلوب الوحيد للتعامل مع هذا الموقف هو باستخدام طريقة الصدمة المباشـــرة فسألته :

ـ أين ليدى فرانسيس كارفكس ؟!

فنظر الرجل الى فى اندهاش فقلت له :

ـ ماذا فعلت بها ؟ ولماذا تتعقبها ؟ أريد اجـــابة مباشرة منك فى الحال !

أطلق الرجل زمجرة غضب وهجم على ، ولم أكن رجلا ضــــعيفا ولكنه كان قويا كالحصــــان ، ومقاتلا كالشيطان ، اذ لم يلبث أن أصبحت يداه حول عنقى ٠ أما أنا فكنت تقريبا مغشيا على عندما هرع عامل فرنسى من أحد الفنادق الصـــغيرة وأنقذنى بأن ضرب الرجل الانجليزى بعصا على يده ، مما دفعه لأن يطلق قبضته عن عنقى ، وعندئذ وقف الرجل المتوحش بالقرب منا لبرهة عاجزا عن أن يقرر عما اذا كان سيهاجمنى مرة أخرى أم لا ، وأخيرا استدار فى غضـــب وذهب الى

المنزل الذى تقيم فيه مارى ، وبدأت أشكر الرجل الفرنسى الذى بجانبى **فقال لى :**

– حسنا ياواطسون ، لم تحسن الأداء هذه المرة ، أعتقد أنه من الأفضل أن تعود معى الى لندن بقطار الليل ·

وبعد ساعة كان شيرلوك هولمز جالسا معى فى حجرة الجلوس بالفندق ومرتديا ملابسه الخاصة .
وقال لى :

– لم أتوقع أننى سأستطيع مغادرة لندن ولكن هأنذا على كل حال ·

فسألته :

– وكيف علمت أننى سأكون هنا فى مونت بيليه ؟!

فقال هولمز :

– من السهل استنتاج أن مونت بيليه ستكون المرحلة التالية فى تحركاتك · ومنذ وصولى جلست فى

انتظارك بهذا الفندق ، ولكن ياله من موقف فى الحقيقة ياواطسون ذلك الذى تعرضت له !

فاجبته فى ضجر :

ـ ربما لم تكن لتفعل أنت نفسك أفضل من ذلك .

ـ لقد فعلت ماهو أفضل ياواطسون .

عندئذ أحضر أحد خدم الفندق بطاقة أحد الأشخاص فنظر اليها هولمز ثم قال :

ـ آه ، ماهو مستر فيليب جرين .. مستر جرين مقيم فى هذا الفندق وقد يستطيع مساعدتنا لمعرفة ما حدث لليدى فرانسيس كارفكس .

واذا بالرجل الذى يدخل هو نفسه ذلك الشـــخص المتوحش الذى هاجمنى فى الطـــريق ، ولم يبد عليه السرور عندما رآنى ثم قال :

ـ لقد تسلمت خطابك يا مستر هولمز ، ولكن ما الســـبب فى وجود هذا الرجـــل ؟ وماهى علاقتـه بالموضوع ؟

فأجاب هولمز :

– انه هو صديقي القديم دكتور واطسون ، وهو يساعدنا في هذه القضية !

فبسط الغريب يده السوداء الضخمة وقال :

– انني آسف جدا لما حدث يادكتور واطسون ، لقد فقدت كل سـيطرتي على نفسي عندما اتهمتني بإيذاء ليدى فرانسيس ، انني في حالة سيئة كما تعلم ولا أفهم هذا الموضوع بالمرة ، وانني حتى لا أعرف يامستر هولمز من الذي أخبرك عن وجودى •

فقال هولمز :

– لقد تحـدثت مع مس دوبني ممرضـة ليدى فرانسيس العجوز •

فقال جرين :

– سوزان دوبني العجوز ذات القبعة المضحكة انني أتذكرها جيدا !

– وهى تتذكرك ، فهى تعرفك من الايام التى تسبق ذهابك الى جنوب أفريقيا .

– آه ، اننى أرى انك تعرف قصتى بالكامل ، اننى لن اخفى عنك شيئا يامستر هولمز ، لقد احببت فرانسيس طوال حياتى ، وعندما كنت شابا ارتكبت بعض الأفعال السيئة وهى كانت دائما شديدة النقاء والطيبة ، فلما أخبرها أحدهم عن أسلوب حياتى ، رفضت أن تتحدث معى مرة أخرى ، بالرغم من أنها كانت تحبنى ، لقد احبتنى بالقدر الذى جعلها تظل بلا زواج من اجلى ، وقد مكثت عدة سنوات وانا أعمل فى جنوب أفريقيا حتى كونت ثروة ولما عدت الى أوروبا قررت أن أعثر على فرانسيس وأحاول أن أقنعها بالزواج منى ، لأننى علمت أنها لم تتزوج بعد ، ووجـــدتها فى لوزان ، واعتقدت أننى قد أقنعتها تقريبا ، ولكن عزيمتها كانت قوية ، ولما ذهبت الى فندقها فى المرة التالية قيل لى انها قد تركت المدينة ، فتتبعتها حتى بادن بادن ، ثم علمت بعد فترة أن خادمتها هنا ، وأننى بطبعى شخص

من النوع الخشن وعشت حياة جافة . وعندما تحدث معى الدكتور واطسون بهذه الطريقة وجدت نفسى على الفور فى حالة توحش تام ، ولكن بالله عليك يامستر هولمز أخبرنى بما حدث لليدى فرانسيس .

فأجابه هولمز فى صوت جاد :

ــ اننا سنفعل مافى وسعنا للتوصـــل الى هذا ، ماهو عنوانك فى لندن يامستر جرين ؟

ــ يمكنك أن ترسل الخطابات أو رسائل الى فندق لانجهام .

فقال هولمز :

ــ أعتقد أنك يجب أن تعود الى لندن ، فقد أحتاج اليك هناك ، وأعدك أن يتم عمل كل المستطاع من أجل سلامة ليدى فرانسيس كارفكس ، وهاهى بطاقتى وعليها عنوانى ، والآن ياواطسون سأقوم بارسال برقية الى مسز هادسون أثناء قيامك باعداد حقيبتك وسأطلب منها

اعداد عشاء جيد تماما لاثنين من الرحالة الجائعين فى تمام الساعة السابعة والنصف من مساء الغد ٠

وفى مساء اليوم التالى وجدنا على مائدتنا تلغرافا لهولمز يقول :

(ممزقة ، غير منتظمة)

وكانت هذه هي الرسالة التى وصلت من بادن بادن، فسألت هولمز عن معنى هذه البرقية ، فقال لى هولمز :

ـ انها الاجابة على سؤالى بخصوص أذن دكتور شليسنجر ، فقد تتذكر برقيتى التى لم ترد عليها ٠

ـ تصورت أنها نكتة ٠

ـ حقا ؟ ٠٠ لقد أرسلت نفس الرسالة الى مدير الفندق الانجليزى ، وهذه البرقية هى الرد ، اجابة هامة ياواطسون ، بل بالغة الأهمية ٠

ـ وماذا تثبت ؟

ـ انها تدل ياعزيزى واطسون أننا نتعامل مع رجل ذكى وخطير اسمه هنرى بيترز أو بيترز الطاهر من أديلاد فى استراليا ، وهو من أكثر الرجال شرا فى العالم ياواطسون • وهو بارع فى ســـرقة السيدات الوحيدات بصفة خاصة من خلال استغلال مشاعرهم الدينية وتعاونه فى هذا الأمر امرأة صديقة له تدعى آنى تراسر وتتظاهر بأنها زوجته ، واننى أشك فى أن دكتور شليسنجر هو فى الحقيقة مستر بيترز ، وموضوع الأذن الممزقة يجعل الأمر مؤكدا تماما •

فسألت هولمز :

ـ وكيف حدث التمزق لأذن بيترز الطاهر ؟

فأجاب هولمز :

ـ أصيب فى عراك بأحد فنادق أديلاد ، وقد حدث ذلك منذ حوالى ستة أعوام مضت ، حسبنا ياواطسون ان ليدى فرانسيس البائسة تقع تحت رحمة ثنائى بشع وربما تكون قد ماتت فعلا ، فان هذا محتمل حقا ، أما

اذا كانت لاتزال على قيد الحياة فهى سجينة بالتاكيد فى مكان ما ، وهى عاجزة عن كتابة رسائل لمس دوبتي او أى شخص آخر ، وأعتقد أن ليدى فرانسيس هنا فى لندن ، اذ أنه من السهل فى لندن الاحتفاظ بشـــخص سجينا فى سرية تامة ، وسأتوجه بعد العشـــاء الى سكوتلنديارد وأتحدث مع صديقنا ليستراد .

ولكن البوليس لم يكن قد اكتشف شيئًا ، والأشخاص الثلاثة الذين نريد أن نعثر عليهم قد اختفوا تماما ، فنشرنا اعلانا فى الصحف ولكن فشل هذا أيضا ، وراقب البوليس كل أصدقاء بيترز الطاهر ولكنه لم يقم بزيارتهم ثم فجأة وبعد أسبوع من الانتظار البائس حدث شىء ما ، فقد تسلم أحد المرابين فى طريق ويستمنستر قطعة من المجوهرات الأسبانية القديمة ، أحضرها رجل ضخم يبدو وكأنه قسيس ، وقد ذكر اسما وعنوانا مخادعا تماما ، ولم يلاحظ المرابى أذنه ولكننا كنا متأكدين أنه كان بيترز الطاهر .

فقال هولمز :

– لقد أخذ بيترز بعض مجوهرات ليدى فرانسيس الى متجر المرابى ، وسنقوم بالقبض عليه الآن .

فتساءل جرين :

– ولكن أيدل هذا على أن أى ضرر قد وقع لليدى فرانسيس ؟

نظر اليه هولمز نظرة بالغة الجدية ثم قال له :

– اذا كان بيترز وآني فراســـر قد احتفظا بها كسجينة حتى الآن ، فلن يستطيعا اطلاق سراحها بدون تعرضهما للخطر ، واننى أخشى ماهو أسوأ يامستر جرين ..

فقال جرين :

– أرجوك كلفنى بعمل أى شىء يامستر هولمز .

فساله هولمز :

– هل يعرفك أحد من هؤلاء الأشخاص ؟

– لا ...

ـ من المحتمل أن يعــــود بيترز الى نفس المرابى عندما يحتاج الى نقود مرة أخرى ، وسأعطيك خطابا للمرابى وسيجعلك تنتظر فى المتجر ، واذا جاء بيترز عليك أن تتعقبه حتى منزله ، على أن لاتدعه يراك ، وبالطبع يجب ألا تهاجمه ، أرجوك لا تفعل شيئا بدون أن تخبرنى •

ظل جرين لمدة يومين لا يمدنا بأى أخبار ، ثم فى مساء اليوم الثالث فوجئنا به يندفع الى حجرة جلوسنا شاحب الوجه وهو يرتعد من الانفعال وصرخ قائلا :

ـ لقد أمسكنا به ، لقد أمسكنا به !

وكان جرين منفعلا الى الحد أنه كان يتكلم بصعوبة فدفعه هولمز نحو أحد المقاعد ثم قال له :

ـ أرجوك يامستر جرين ، أخبرنا بما حدث •

ـ جاءت الى المتجر منذ ســـاعة ، ولكنها كانت الزوجة فى هذه المرة وقطعة المجوهرات التى احضرتها معها كانت تشــــبه الأخــرى تماما ، انها امرأة طويلة شاحبة وذات عينين كالقطة •

فقال هولمز :

ـ أنها المرأة ٠٠ !

ـ ولما تركت المتجر ، تعقبتها . فاجتازت طريق كينينجتون ثم توجهت الى متجر آخر ، وكان لأحد الحانوتية يامستر هولمز !

ولاحظت أثر الصدمة على وجه هولمز الذى قال وهو يغالب نفسه ليتحدث فى هدوء :

ـ استمر ٠٠ !

ـ دخلت الى هناك أيضا ، وكانت تتحدث الى الحانوتى بالداخل وسمعتها تقول انه تأخر فأجابها الحانوتى أن من المحتمل أنها ستصل الآن فقد استغرقت وقتا أطول مما يستغرقه الشخص العادى ، ثم توقفا ونظرا الى ، فسألت الحانوتى عن الطريق الى محطة واترلو ثم تركت المتجر .

فقال هولمز :

ـ لقد كنت حسن التصرف وبدرجة عظيمة يامستر جرين .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ خرجت المرأة وكنت مختبئا فى بوابة متجر آخر، واعتقد أنها شكت فى لأنها أخذت تنظر حولها بحثا عنى ثم استدعت مركبة ودلفت اليها ، فاستطعت أن أحصل على مركبة أخــرى وتعقبت مركبتها ، ونزلت فى ٣٦ ميدان بولتنى فى بركستون ، فتقدمتها فى السير وتركت مركبتى فى ركن الميدان وراقبت المنزل .

فتساءل هولمز :

ـ هل رأيت أى شخص ؟

ـ نافذة واحـــدة فقط كانت مضـــاءة فى الدور الأرضى ، ولم أتمكن من رؤية الداخل ، وكنت واقفا هناك أفكر فيما يجب على أن أفعله بعد ذلك ، عندما توقفت عربة خارج المنزل ، وخرج منها رجلان والتقطا شيئا من العربة وحملاه على السلم حتى الباب الأمامى، لقد كان تابوتا يامستر هولمز !

ـ آه .. !!

ـ فكرت للحظة أن اندفع الى المنزل ، وكان الباب قد انفتح ليسمح للرجال بالدخول بالتابوت ، وكانت المرأة التى تدعى فراسر هى التى فتحت الباب ، ولكنها رأتنى وأنا واقف هناك ، وأعتقد أنها تعرفت على ، اذ رأيت وجهها يتغير ثم أغلقت الباب فى الحال ، وتذكرت وعدى لك .

فقال له هولمز :

ـ لقد قمت بعمل ممتاز !

ثم كتب هولمز بضع كلمات على نصف ورقة .

« أمر تفتيش ضرورى الآن . وقال :

ـ أرجوأن تأخذ هذه الملحوظة لمستر ليستراد فى أسكوتلنديارد وهو سيقوم بترتيب كل شىء ، وقد تكون هناك بعض الصعوبات ولكنى أعتقد أن عملية المجوهرات تعتبر دليلا كافيا جدا للجريمة .

فقل جرين :

قد تكون فرانسيس قد قتلت أثناء ذلك ، وهذا التابون لابد أنه من أجلها بالتأكيد .

– سنفعل كل مافى وسعنا يامستر جرين ، ولن نضيع أى وقت .

وما أن انصرف جرين على عجل حتى قال لى هولمز :

– والآن ياواطسون ، الوضع من وجهة نظرى يبدو بالغ الفظاعة مما يتطلب أن نتصرف الآن وبدون مساعدة القانون ، فأنت وأنا نعتبر من بوليس لندن غير الرسمى ويجب أن نذهب فورا الى ميدان بولتنى .

وسارت بنا المركبة بأقصى سرعة ممكنة فوق كوبرى ويستمنستر وأثناء سيرنا أوضح لى هولمز وجهة نظره بشأن خطة بيترز الطاهر .

فقال هولمز :

– هؤلاء القوم الأشرار قد دفعوا هذه المسكينة لأن تطرد خادمتها المخلصة وأن تأتى معهما الى لندن .

وإذا كانت قد كتبت أى خطـــابات فانهم قد سرقوها وأتلفوها ، وقد استأجر المجرمون منزلا مفروشا وجعلوا منها سجينة وهم الآن قد حصـلوا على مجوهراتها . وهذه المجوهرات كانت السبب الرئيسى لاهتمامهم بليدى فرانسيس ، وقد بدأوا فعلا فى استبدالها من أجل النقود وهم يعلمون أن لها أصدقاء يتعقبونهم ، وهم لايستطيعون اطلاق سراحها ، كما أنهم لايستطيعون الاحتفاظ بها كسجينة الى الأبد ، لذلك يجب أن يقتلوها !

فقلت :

– ان هذا يبدو واضحا جدا .

– ووصول التابوت يثبت كما أخشى انها قد ماتت بالفعل ، أوه ياواسطون هاهو الحانوتى على ما أعتقد قف أيها السائق ، ألا يمكن أن تدخل ياواطسون وتسأل الحانوتى عن ميعاد جنازة ميدان بولتنى .

أخبرنى الرجل فى المتجر أنه قد تم الاعداد لأن تكون فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى ، وما أن قلت ذلك لهولمز حتى بدت عليه التعاسة ثم قال :

ـ اننى لا أفهم ذلك على الاطلاق ، فعادة مايدفن القتلة الجثة فى حفرة بالحديقة الخلفية ، اما هؤلاء القتلة فيبدو أنهم لايخشـــون شـــيئاً ، يجب أن نتقدم ونهاجم ، هل أنت مسلح ياواطسون ؟

ـ معى عصاى على الأقل .

ـ حسن ، حسن .. سنكون على قدر من القوة .
فنحن لانســـــتطيع أن نتحمل انتظار البوليس او امر التفتيش، وشـــكرا لك أيها الســـائق .. يمكنك ان تنصرف !

قرع هولمز جرس منزل ضخم قائم فى وسط ميدان بولتنى وانفتح الباب على الفور بواسطة امرأة طويلة وقالت المرأة فى وقاحة وهى تنظر فى الظلام :

ـ حسن ، ماذا تريدان ؟

فقال لها هولمز :

ـ اريد أن أتحدث الى الدكتور شليسنجر

فأجابت :

— لا يوجد دكتور شليسنجر هنا .

ثم حاولت أن تغلق الباب ولكن هولمز وضع قدمه في طريق الباب وقال في ثبات :

— حسن ، أريد أن أرى الرجل الذى يقيم هنا ، ولا يعنيني ماذا يطلق على نفسه .

فترددت المرأة ثم جذبت الباب على مصـــراعيه وقالت :

— حسن ، أدخل ، زوجى لايخاف رؤية أى رجل فى العالم .

ثم أغلقت الباب خلفنا ، وأصـــطحبتنا الى غرفة جلوس تقع على يمين القاعة ، وقبل أن تغادرنا أضاءت المصباح فى الغرفة ثم قالت :

— لحظة ويكون معكم مستر بيترز .

وفى الحال ظهر الرجل ودخل حجرة الجلوس المتربة ولم يحدث أى صوت أثناء سيره ، وكان بيترز الطاهر

رجلا ضخما ذا وجه أحمر بدين قد يبدو جذابا لولا هذا الفم القاسي وكانت رأسه خالية من الشعر .. !

وقال الرجل في صوت لزج :

- انكما بالتأكيد أخطأتما ياسادة ، واعتقد انكما اتيتما للمنزل الخطأ ، اذا حاولتما في امتداد الشارع فربما ...

فأجابه صديقي قائلا :

- انك تضيع وقتك اسمي شيرلوك هولمز ، وانت هنرى بيترز من أديلاد ، وسابقا الدكتور شليسنجر من بادن بادن وجنوب افريقيا .

- انني لست خائفا يامستر هولمز ، ماهي حاجتك من منزلي ؟

- أريد أن أعرف ما الذي فعلته مع ليدى فرانسيس كارفكس التي جاءت معك من بادن بادن .

فأجاب بيترز بهدوء :

– سأكون فى غاية السعادة اذا اخبرتنى أنت اين هى ، لقد اقترضت منى ما يقرب من مائة جنيه ، ولم تردها لي ولم تعطنى سوى بعض المجوهرات العديمة القيمة تقريبا بدلا من النقود ، وقد دفعت لها فاتورة الفندق فى بادن بادن واشتريت لها تذكرة سفر من هناك الى لندن ، وفقدنا أثرها فى محطة فيكتوريا ، واذا أمكنك العثور عليها يامسستر هولمز سأكون فى غاية الامتنان لك .

فقال شيرلوك هولمز :

– سأعثر عليها ، وسأفتش هذا المنزل حتى اعثر عليها !

فسأله بيترز :

– اذن أين اذن التفتيش ؟

أخرج هولمز مسدسا من جيبه . فقال بيترز :

– اذن فأنت لص حقير .

- هذا صحيح ، وصديقى واطسون هو ايضا رجل خطير ونحن الآن سنفتش منزلك معا .

وفتح بيترز الطاهر الباب ونادى قائلا :

- آنى ، احضرى أحد رجال الشرطة !

وسمعنا المرأة تجرى عبر القاعة ثم تخرج من الباب الأمامى

فقال هولمز :

- لدينا وقت ضئيل جدا ياواطسون ، واذا حاولت أن تمنعنا يابيترز فانك ستتعرض بالتاكيد للأذى ، اين التابوت الذى أحضر الى هذا المنزل ؟

فتساءل بيترز :

- لماذا تريد أن ترى التابوت ؟ انه يستعمل الآن . هناك جثة بداخله .

- لابد أن أرى الجثة .

ثم دفعه هولمز بعيدا من الطريق وتوجهنا معا الى

الحجرة التالية وكانت حجرة الطعام بالمنزل وبها مصباح خافت الضوء ولكننا رأينا التابوت فى الحال موضوعا على المائدة فأضـــاء هولمز المصباح وفتح التابوت ، ووجدنا فى عمق التابوت عند القاع جثة لامرأة ضئيلة وشديدة النحافة وطاعنة فى السن جدا جدا ولم تكن بالتأكيد جثة ليدى فرانسيس كارفكس .

فهمس هولمز فى راحة :

ـ حمدا لله ، انها لشخص آخر .

فقال بيترز الذى لحق بنا الى الغرفة :

ـ لقد ارتكبت خطأ سيئا ، أليس كذلك يامســـتر هولمز ؟

فسأله هولمز :

ـ من هذه السيدة المتوفية ؟

ـ ليس لك الحق فى السؤال ، ولكننى سأخبرك انها روز سبندر المرضة العجوز لزوجتى وجدناها فى

مستشفى المسنين فى بيريكستون ، فاحضرناها الى هنا واستدعينا دكتور هورسوم ، اجل .. من فضلك دون عنوانه فى مفكرتك يامستر هولمز انه فى ١٣ شـارع فاير بانك ، وقد أشرف هذا الطبيب على رعايتها فى عناية بالغة ولكنها ماتت فى اليوم الثالث . وكانت فى التسعين من عمرها ، والجنازة ستكون فى الثامنة من صباح الغد ، والحانوتى هو مستر ستيمسون فى طريق كينينجتون .

فقال هولمز :

ـ اننى سأفتش منزلك .

ـ لا أظن أنك ستفعل .

قال بيترز ذلك بعد أن سـمع وقع أقدام رجال البوليس فى القاعة فنادى عليهم قائلا :

ـ ارجو أن تاتوا الى هنا ،هذان الرجلان فى منزلى بدون اذن ، ساعدونى على اخراجهما .

أخرج هولمز احدى بطاقاته وقال لرجل البوليس :

- هاهو اسمى وعنوانى وهذا السـيد صـديقى الدكتور واسطون .

فقال واحد من رجال الشرطة :

- اننا نعرفك جيدا ياسيدى ، ولكنك لاتستطيع ان تبقى هنا بدون أن يكون معك اذن بالتفتيش .

فقال هولز :

- بالطبع لا ، أننى أدرك ذلك جيدا

فصاح بيترز :

- خذه لمركز البوليس !

فأجاب رجل الشرطة :

- اننا نعرف كيف نجد هذا السيد اذا كان مطلوبا ولكنك يجب أن تذهب الآن يامسـتر هولز ، هذا هو القانون .

توجهنا أنا وهولز بعد ذلك الى دار المسنين فى بريسكتون حيث علمنا أن اثنين من الأشخاص الصالحين

قد طلبا استلام امرأة كانت تحتضر لأنها سبق وأن عملت في خدمتهما وتسلما تصريحا باصطحابها معهما خارج دار المسنين .

وعندئذ ذهبنا لرؤية دكتور مورسوم الذى قام برعاية المرأة العجوز قبل وفاتها .

فقال لنا الطبيب :

ـ انني كنت معها عند وفاتها ، والشيخوخة هى سبب الوفاة ، ولم يكن هناك شيء مثير للشك حول الوفاة على الاطلاق .

فسأله هولمز :

ـ هل لاحظت وجود أى شيء يثير الشك فى المنزل ؟

ـ لا ، كان هناك شيء واحد غريب .. مستر ومسز بيترز لم يكن لديهما خدم ، وهذا يعتبر امرا غير عادي بالنسبة للأشخاص الذين فى مستواهما .

ولم يتمكن الطبيب من افادتنا بالمزيد فتوجهنا بعد ذلك الى اسكوتلنديارد ، حيث أخبرونا أن اذن التفتيش لن يتم توقيعه قبل حوالى الساعة التاسعة من الصباح التالى .

وفى هذه الليلة لم يذهب هولمز للفراش بل ظل يدخن عدة ساعات وهو يجوس في أنحاء المنزل ، وفى الساعة السابعة وعشرين دقيقة من صباح اليوم التالى ، اندفع هولمز الى حجرتى وهو يقول :

ـ الجنازة فى الساعة الثامنة ياواطسون ، والساعة الآن السابعة وعشرون دقيقة ، وقد اتضحت تصوراتى بالنسبة للغز ليدى كارفكس .. الآن فقط وضحت أفكارى ، يجب أن نسرع ، ولا نتأخر .. !

وفى أقل من خمس دقائق كنا فى مركبة مسرعة ، وبالرغم من أن الساعة كانت الثامنة الا خمسا وعشرين دقيقة عندما مررنا فوق كوبرى ويستمنستر فقد وصلنا الى ميدان بولتنى فى الثامنة الا عشر دقائق ، وقد تأخر رجال الحانوتى أيضا ، لذا فقد وصلنا فى الوقت

المناسب حيث وجدناهم يحملون التابوت الى خارج المنزل فاندفع هولمز للأمام صارخا وهو يضع يده على صدر الرجل الأول ليدفعه للعودة الى القاعة ويقول :

ـ أعد هذا التابوت ، عد به فى الحال !

وعندئذ ظهر بيترز خلف التابوت ، ووجهه الأحمر يشع غضبا شديدا وصاح قائلا :

ـ مستر هولمز ، انك لاتملك حق اعطاء الأوامر هنا ، أرنى الأمر الصادر لك بالتفتيش ..

فاجابه هولمز :

ـ أمر التفتيش فى الطريق الى هنا ، وهذا التابوت يجب أن يبقى فى المنزل لحين وصول هذا الأمر .

كان للاصرار الذى يبدو فى صوت هولمز أثره على رجال الحانوتى واختفى بيترز فجأة ، واطاع الرجال هذه الأوامر الجديدة ، فوضعوا التابوت على مائدة حجرة الطعام مرة أخرى ، وتمكنا من فتحه فى أقل من دقيقة ، وأثناء قيامنا بذلك اندفعت رائحة كلوروفورم

قوية من داخل التابوت ، كان هناك جسد راقد فى التابوت .. الرأس ملفوف بضمادات لاتزال مبتلة بالكلوروفورم ، وفك هولمز ضمادات الوجه واذا بنا نرى وجه امرأة جميلة ، وفى الحال رفعنا الجسد فى وضع الجلوس .

- هل هى على قيد الحياة ياواطسون ؟ بالتأكيد لم نتأخر كثيراً ؟

ومكثنا حوالى نصف ساعة ونحن نتصور اننا قد تأخرنا فعلا ولكن فى النهاية كللت مجهوداتنا بالنجاح وعادت ليدى فرانسيس للحياة مرة أخرى !

وعندئذ وصلت مركبة فاتجه هولمز نحو النافذة ونظر ثم قال :

- هاهو ليستراد مع أمر التفتيش ، ولكن بيترز الطاهر وآنى فراسر قد هربا بالفعل ، وهاهو رجل أحق منا بتمريض هذه السيدة ، صباح الخير يامستر جرين، أعتقد أن ليدى فرانسيس يجب أن تؤخذ بعيدا عن هنا بأسرع مايمكن ، أما الجنازة فيمكن أن تستمر ، فتلك

المرأة العجوز البائسة التى تقبع فى قاع هذا التابوت يمكن أن تدفن الآن ولكنها ستدفن وحدها !

وفى المساء قال لى هولمز :

– اننى كنت شديد الغباء ياواطسون ، أعرف اننى سمعت شيئًا هاما ولكننى لم أتبين كنهه ، انه شيء ذكره الحانوتى لأنى فراسر وسمعه صديقنا جرين ، فقد ذكر الحـــانوتى انها تحتاج لوقت أطول مما يحتاجه الشخص العادى ، وبالطبع كان الحانوتى يقصــد التابوت ، لأن التابوت كان غير عادى ، اذ أن مقاييسه لم تكن عادية ، لقد صنع خصيصا ، ولكن لماذا ؟ لماذا ؟ وعندئذ تذكرت الجوانب العميقة للتابوت وذلك الجسد الضئيل المسجى في القاع ، لماذا تم عمل تابوت كبير بهذا الحجم لمثل هذا الجسد الضئيل ؟

وكان التفسير الوحيد لذلك هو توفير مكان لجثة أخرى !!

القصـــة السادسة :

الجاريدبب الثلاثـة

بدأت قضية الجاريديبس الثلاثة فى أواخر شهر يونيو عام ١٩٠٢ بعد انتهاء حرب جنوب افريقيا مباشرة ، وكان شيرلوك هولمز قد أمضى عدة أيام فى الفراش ، كما كانت عادته من وقت لآخر ، ولكنه فى هذا اليوم غادر فراشه وفى يده حزمة من الأوراق مدونة بخط اليد ، وفى عينيه الرماديتين الباردتين تبدو نظرة ابتهاج وقال :

– ياعزيزى واطسون ، هاهى فرصة لأن نحصل على بعض النقود ، هل سمعت عن اسم جاريديب من قبل ؟

فقلت اننى لم أسمع به أبدا .

– حسن ، اذا استطعت العثور على رجل يدعى جاريديب فان كلا منكما سيصبح رجلا ثريا !

فتساءلت عن معنى ذلك فقال لى :

– آه .. هذه قصة طويلة ومشوقة الى حد كبير أيضا ، وهى فى الحقيقة قصة غير عادية ، وسيأتى رجل لرؤيتى خلال بضع دقائق بشأن هذا الموضوع ، لذا لن أبدأ القصة الا عندما يصل هذا الرجل ، الا أن جاريديب هو الاسم الذى نريده .

كان دليل التليفون بجوارى على المنضدة ، فأخذت أقلب صفحاته على أمل أن أعثر على اسم جاريديب ولدهشتى وجدت هذا الاسم الغريب فى مكانه من الدليل. فأطلقت صيحة فرح وقلت :

ـ هاهو ياهولمز ، هاهو !

فالتقط هولمز الدليل من يدى وبدا يقرا :

ـ جاريديب ن ـ ١٣٦ شارع ليتل ريدر ، آسف ياواطسون لأننى ساخيب أملك ، لأن جاريديب هذا هو نفسه عميلى وهذا العنوان هو عنوانه ، اننا نريد جاريديب آخر ليكون ندا له ٠

وعندئذ دلفت مسز هادســون مدبرة المنزل وهى تحمل بطاقة على احدى الصوانى ، فالتقطت البطاقة وفحصتها ثم صرخت قائلا :

ـ لماذا ، هاهو الآخر ، الاسم الأول مختلف ، هذا الشخص اسمه جون جاريديب ـ محام من كانساس فى أمريكا ٠

ابتسم هولمز وهو يلقى نظرة على البطاقة وقال إننا نعــرف بالفعل مايخص هذا الرجل ، ولو أننى بالتأكيد لم أتوقع أن أراه هنا هذا الصباح ، وعلى كل حال يمكنه أن يعدنا بالكثير الذى نريد أن نعرفه ٠

لم تمض دقيقة حتى دلف الى الغرفة مستر جاريديب ، وكان رجلا قصيرا قويا وذا وجه مستدير نشط ، وكان من السهل تصور أنه من رجال الأعمال أو محام أمريكي ، وكانت تبدو عليه سمات الطفولة الى حد كبير وذلك من خلال تلك الضحكة العريضة الثابتة على وجهه ، بالاضافة لعينيه المندهشتين ، ومن النادر أن أكون قد صادفت مثل هذه العيون اللامعة السريعة الحركة أو الحادة ، وكانت لكنته أمريكية ولكنها غير واضحة تماما .

وتساءل الرجل وهو ينقل بصره بيننا :

– مستر هولمز ؟ صورك المنشورة فى الصحف لا تختلف كثيرا عنك ياسيدى ، واذا سمحت لى فاننى أعتقد أنك قد تسلمت خطابا من جاريديب آخر ، مستر ناثان جاريديب .. أليس كذلك ؟

فقال هولمز :

– تفضل بالجلوس ، أعتقد أنه سيكون لدينا الكثير للمناقشة .

ثم التقط هولمز بعض الأوراق وقرأ فيها ثم قال :

ـ انك بالطبع مستر جون جاريديب الذى جاء ذكره فى هذه الأوراق القانونية ، ولكن من المؤكد انك كنت فى انجلترا لبعض الوقت .

وسرعان ما بدت نظرة شك مفاجئة فى عينى الرجل وقال :

ـ ولماذا تقول ذلك يا مستر هولمز ؟

ـ لأن كل ملابسك انجليزية .

فضحك الرجل فى عدم ارتياح ثم قال :

ـ لقد قرأت الكثير عن حيلك الذكية كمخبر يامستر هولمز ولكننى لم أتصور أبدا أن أكون انا نفسى أحد هذه الموضوعات ، وكيف علمت أن ملابسى انجليزية ؟

ـ من خلال أكتاف معطفك ومقدمة حذائك .. كيف يمكن ان ينكر ذلك أحد ؟

ـ حسن ، حسن ، لم اكن اعرف اننى أبدو مثل

الرجل الانجليزى الى هذا الحد ، ولكننى قد اتيت الى انجلترا فى عمل منذ وقت طويل مضى ، ولهذا فان كل ملابسى تقريبا مشتراة من انجلترا كما ذكرت ، ولكنى أعتقد أن وقتك ثمين وأنا لست هنا من اجل الحديث عن طراز الملابس ، أرجو أن تسمح لنا الآن بمناقشة هذه الأوراق التى بين يديك ·

وكان واضحا أن هولمز قد أزعج ضيفنا بطريقة ما اذ أصبح وجهه المستدير الطفولى أقل ودا ·

وقال صديقى هولمز بلطف :

ـ الصبر يامستر جاريديب ، فقد يخبرك صديقى واطسون أن خدعى الصغيرة هذه يمكن فى بعض الأحيان أن تكون بالغة النفع فى النهاية بالنسبة لحل الألغاز ، ولكن لماذا لم يحضر مستر ناثان جاريديب معك ؟

فسأل الضيف فى غضب مفاجىء :

ـ ولماذا اقحمك فى هذا الأمر من الأصل ؟ وماذا

يمكنك أن تفعل أنت ، أن هذا يعتبر جزءا من عمل مهنى بين اثنين من السادة ، واذا بواحد منهما يقوم بتعيين مخبر خاص وقد رأيته هذا الصباح واخبرنى بهذا الامر الغبى الذى فعله ولهذا فانا هنا ، ولكنى اشعر بضيق من هذا الامر .

ـ ان احدا لا يتهمك بأى شىء خطا يامستر جاريديب ، فمستر ناثان جاريديب لا يعدو الا ان يكون شغوفا بتحقيق النجاح الذى اعتقد انه يمثل نفس الدرجة من الأهمية لكل منكما ، وهو يعرف أن لدى وسائل للحصول على المعلومات ، لذلك كان من الطبيعى جدا ان يلجأ الى .

اختفى الغضب تدريجيا من وجه ضيفنا ثم قال .

ـ حسن ، لقد بدأت أفهم الآن ، فاننى عندما توجهت هذا الصباح لرؤيته اخبرنى أنه قد كلف مخبرا خاصا وسألت فورا عن عنوانك وحضرت اليك فى الحال . لا أريد أن يتدخل البوليس فى أمر من هذه الأمور

الخاصة ، ولكن اذا أمكنك أن تساعدنا فقط فى العثور على الرجل ، فلن يكون هناك ضرر فى ذلك ٠

فقال هولمز :

ـ حسـن، هذا هو ، بالضبط ما انوى عمله ، والآن ياسيدى بما انك هنا ، فمن الأفضل أن تعطينا صورة واضحة عن الأمر كله ٠ وصـديقى الدكتور واطسون هنا ، وهو لا يعرف شيئا عن التفاصيل ٠

فنظر مستر جاريديب نحوى بشىء قليل من الود ثم تساءل :

ـ أيجب أن يعرف ؟

فقال هولمز :

ـ نحن عادة نعمل معا ٠

ـ حسن لا يوجد اذن مبرر في أن يظل الأمر سرا، سأخبرك بالحقائق الأساسية ، واذا تحدثنا عن كانساس فلن احتاج لأن أشرح لك من هو الكسندر هاميلتون جاريديب فهو رجل معروف كون ثروته من خلال بيع

وشراء المنازل والاراضى . ثم بعد ذلك كون ثروة اخرى من خلال العمل فى سوق شيكاغو للقمح ، وقد انفق الأموال فى شراء المزيد من الاراضى بطول نهر اركنساس غرب فورت دودج ، وفى النهاية امتلك قطعة من الأرض فى حجم مقاطعة كنت أو سسكس هنا فى انجلترا وهى اراض لرعى الغنم وغابات ومناجم وايضا اراض زراعية ، وهى فى الواقع تمثل بطريقة أو اخرى كل أنواع الأراضى التى تجلب الربح للرجل الذى يمتلكها .

وكان هذا الرجل بلا أقارب ، واذا كان لديه أى أقارب فاننى لم أسمع عنهم، ولكننى كنت أفخر بهذا الاسم الغريب الى حد ما ، وهذا هو ما جمع بيننا ، وقد كنت محاميا فى تابيكا ، وفى احد الأيام زارنى هذا الرجل العجوز وهو فى غاية السرور لمقابلة رجل آخر يحمل نفس اسمه .. وكان مصمما على العثور على المزيد من أفراد الجاريديب فى العالم . وطلب منى أن أبحث له عن شخص آخر ، فأخبرته أننى رجل مشغول ولا أستطيع أن أقضى حياتى متجولا حول العالم بحثا

عمن يحملون اسم جاريديب ولكنه أجــابنى أن هذا بالضبط ما سأقوم بعمله ، اذا أمكن تنفيذ خططه .. وأعتقدت فى بداية الأمر أنه يمزح ولكن سرعان ماتبينت أن هناك قدرا كبيرا من الجدية فى كلمات الرجل .

وتوف الرجل فى أقل من عام من هذا اللقاء ، وبعد وفاته وجدت أنه قد ترك وصية . وكانت أغرب وصية يمكن الاطلاع عليها حتى الآن فى ولاية كانساس ، وكانت ممتلكات الرجل مقسمة الى ثلاثة أجزاء . وكان على أن أحصل على جزء من هذه الأجزاء الثلاثة بشرط أن أعثر على اثنين آخرين يحملان اسم جاريديب ليتقاسما معى باقى الأجزاء ، وكان كل جزء من الأجزاء الثلاثة يقدر بحوالى خمسة ملايين دولار ، ولن يتم دفع أى أموال ما لم أعثر على هذين الشخصين .

وكانت فرصة مدهشة بالنسبة لى حتى اننى تركت خبرتى كمحام وتوجهت للبحث عن المزيد من الجاريديب، فوجدت أنه لم يكن هناك فردا واحد يحمل هذا الاسم

في الولايات المتحدة الأمريكية .. لقد بحثت ياسيدى في كل أنحاء البلاد ، ولكننى لم اكتشف اى جاريديب آخر بالمرة ، ثم حاولت في انجلترا حيث وجدت الاسم في دليل التليفون بلندن ، وتوجهت لرؤية الرجل منذ يومين وشرحت له الأمر برمته ولكنه كان مثلى وحيدا في العالم فيما عدا بعض الأقارب من النساء فقط ، وطبقا لوصـــية الرجل العجوز فان الجاريديب الثلاثة يجب أن يكونوا جميعا من الرجال الناضــجين، ولذلك يمكنك أن ترى أننا لانزال نحتاج الى رجل آخر واحد ، واذا استطعت أن تساعدنا في العثور عليه ، سنكون على أتم استعداد لأن ندفع لك أتعابك .

فقال هولمز وهو يبتسم :

ـ حسن ياواطسون ، لقد قلت انها قضية مسلية الى حد بعيد .. ألم اقل لك ذلك ؟ أعتقد يامســتر جاريديب أن أول ما يجب عليك عمله هو أن تنشر اعلانا صغيرا في الصحف .

ـ لقد قمت بذلك فعلا يامستر هولمز ، ولم يكن هناك أى رد ٠

ـ أوه ٠٠ ياللاحباط ، انها بالتأكيد مشكلة صغيرة ومسلية جدا ، وسأتولى بحثها لك ، اذا كان لدى وقت ، ومن العجيب يامستر جاريديب انك قد أتيت من توبيكا، فقد كان لى صديق هناك وقد اعتاد أن يكتب لى وقد توفى الآن أنه دكتور ليساندر ستار العجوز والذى كان عضوا فى مجلس المدينة عام ١٨٩٠ ٠

فقال ضيفى :

ـ دكتور ستار العجوز الطيب ، ان اسمه لايزال مبجلا حتى الآن ٠٠ يامســـتر هولمز أعتقد أن الشىء الوحيد الذى يمكن أن نفعله هو أن نقدم اليك تقريرا لنحيطك علما بتقدمنا ، ومن المحتمل أن تسمع منا شيئا خلال يوم أو يومين ٠

ثم أنحنى الأمريكى وانصرف ٠

واشـــعل هولمز غليـونه وجلس بعض الوقت وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة .

فسألته فى النهاية :

ـ حسن ياهولمز ، ماذا تظن بشأن هذا الأمر ؟

ـ اننى أتعجب ياواطسون ، مجرد تعجب !

ـ بشأن ماذا ؟

أخرج هولمز غليونه من فمه ثم قال :

ـ كنت أتعجب ياواطسون ، ماذا يمكن أن يكون هدف هذا الرجل فى اخبارنا بمثل هذا الكم الكبير من الأكاذيب ، وقد كنت على وشك أن أسأله عن غرضه الحقيقى ، ففى بعض الأحيان يكون الهجوم الحـــاد المفاجىء هو أفضل السبل للتعامل مع مثل هذا الشخص ولكننى قررت أنه ربما يكون من الأحسن أن ندعه يعتقد انه قد نجح فى خداعنا ، فنحن نجد رجـــلا بمعطف انجليزى وبنطلون انجليزى وكلاهما يدل على الاستعمال

منذ عام على الأقل ومع ذلك نجد أنه طبقـــا لمجموعة الأوراق وطبقا لتقريره الخاص انه أمريكي من كانساس وانه لم يصل الى لندن حديثا ، ولم يكن هناك اى اعلان عن الجاريديب ٠٠ فأنت كما تعلم لا يفوتني شيء من هذا القبيل ، فهذه الاعلانات الصغيرة دائما ما تكون مفيدة بالنسبة لما أتناوله من قضايا ، ولايمكن ان اكون قد أغفلت ملاحظة مثل هذا الاعلان ، كما أنني لا أعرف أبدا دكتورا باسم ليساندر ستار من توبيكا ٠٠ وكل ما ذكره ضـــيفنا كان كذبا تقريبا ،وأعتقد أنه بالفعل أمريكي ولكنه كان في لندن لسنوات ولكنته قد أصبحت تدريجيا أقل ميلا للهجة الأمريكية ، اذن ماهو هدفه ؟ وما الغرض من هذا البحث الشاذ عن الأشخاص الثلاثة الذين يحملون اسم جاريديب ؟ ٠٠ أن المشكلة تستحق اهتمامنا ، ومن الواضح أن هذا الرجل مجرم ولكنه مجرم غريب وذو خيال واسع ، ويمكننا أن نبحث الآن فيما اذا كان جاريديب الآخر كاذبا أيضا ، من فضلك ياواطسون اتصل به الآن في التليفون ٠

فعلت ذلك ، وسمعت فى الطرف الآخر صوتا ضعيفا يشبه صوت العنزة الى حد كبير حيث قال لى :

ـ أجل ، أجل ، أنا مستر ناثان جاريديب ، هل مستر هولمز هنا ؟ اننى أحب جدا أن أتحدث مع مستر هولمز .

التقط صديقى السماعة من يدى وسمعت نصف المحادثة كالآتى :

ـ نعم ، كان هنا ، أعتقد أنك لاتعرفه .. منذ متى ؟ .. يومين فقط ؟ أجل .. أجل بالطبع ساكون فى المنزل هذا المساء ؟ أظن أن مستر جون جاريديب لن يكون هناك ؟ .. حسن جدا ، سنأتى اليك حينئذ ، وسأراك أثناء غيابه .. وصديقى دكتور واطسون سيأتى معى ، نعم ذكرت فى خطابك انك لا تخرج كثيرا ، حسن ، سنكون معك فى حوالى الساعة السادسة ولاداعى لأن تذكر ذلك للمحامى الأمريكى .. حسن جدا .. الى اللقاء !

وفى ذلك المساء الربيعى البديع ، كان كل شىء يبدو ذهبيا ورائعا حتى شارع ليتل رايدر الذى يبعد من طريق أدجار فى ذلك الحى الكئيب بالقـــرب من تاييورن حيث تعرض بعض الرجال والنساء الى حادثة قتل فى وحشـــية جهارا فى الطريق ، وكانت أشـــعة الشمس المنسحبة تضفى بريقا على المكان · وكان المنزل الخاص الذى نقصده منزلا ضخما عتيق الطراز ضمن مبانى القرن التاسع عشر ، وفى الدور الأرضى كانت توجد نافذتان عريضتان بطول حجرة المعيشة البالغة الضخامة وهى تخص عميلنا الذى كان يســـكن الدور الأرضى من المنزل فقط ، وما أن دلفنا من الباب حتى أشار هولمز الى أسم جاريديب على لوحة نحاســـية صغيرة وعلق هولمز قائلا :

ـ هذه اللوحة كانت هنا منذ سنوات ياواطسون فان سطحها يبدو باليا تماما · وقد فقدت لونها الأصلى تماما ، لذا فان جاريديب هو اسمه الحقيقى على الأقل ·

كان للمنزل قاعة وسلم مشترك ، وكان هناك عدد

من الأسماء المدونة فى القاعة . وبعض هذه الاسماء كانت تخص مكاتب بينما البعض الآخر كانت لأشخاص ، ولا توجد عائلات مقيمة فى المنزل ، اما الاشخاص الذين يقيمون فكانوا من الســـادة غير المتزوجين ومن ذوى العادات الاستقلالية ، وسرعان مافتح لنا عميلنا الباب بنفسه واعتذر بقوله ان السيدة المسئولة قد انصرفت من الساعة الرابعة .

كان مستر ناثان جاريديب رجلا بالغ الطول ونحيفا ومنحنى الظهر ، ويبدو فى حوالى الستين من عمره .. وراسه كانت خالية تماما من الشعر .. اما بشرة وجهه فكانت تبدو كئيبة وبلا حيوية ، وكان من السهل ملاحظة ان هذا الرجل لم يمارس أى نوع من النشاط ابدا .. وكان يرتدى نظارة مستديرة العدسات وله لحية كالعنزة ولكن وبالرغم من مظهره الغريب الى حد كبير ، فقد كان الرجل يبدو جذابا ، أما الحجرة التى كنا فيها ، فكانت غريبة ايضا كغرابة مستر ناثان جاريديب نفسه، كانت تبدو وكانها متجر من المتاجر ، فقد كانت هناك

دواليب وصناديق زجاجية فى كل مكان حيث تمتلىء بالعظام القديمة وقطع الصخور ، وعلى جانبى الباب يوجد صندوق للحشرات الطائرة مثبتة على بطاقات ، وكل أنواع الأشياء كانت مبعثرة على مائدة كبيرة فى منتصف الحجرة حيث استطعت ان أتبين وجود العديد من العدسات المكبرة القوية ، ولما ألقيت نظرة سريعة على المكان اندهشت لهذا الكم الهائل من الموضوعات المختلفة التى يهتم بها مستر جاريديب ، فهنا صندوق للعملات القديمة وهناك مجموعة أدوات من العصر الحجرى ، وعلى أحد الرفوف لمحت صفين من قوالب المصيص لجماجم لقرود أو رجال قدماء وقد دونت عليها اسماء مثل « نينديرتال » و « هايدلبرج »و «كرومانيون » .. وهذه الأسماء دونت على بطاقات وضعت أسفل كل جمجمة . وكان يبدو واضحا أن عميلنا كان مهتما بعدة مجالات .

وأثناء جلوسنا أمامه الآن كان يمسك بيده اليمنى قطعة من الجلد الناعم يستخدمها فى صقل احدى العملات ، ثم قال موضحا وهو يرفعها لأعلى :

ـ من سيراكاى ومن أحسن عصر ، وقد أصبح هذا النوع سيئا جدا بعد ذلك ، وفى رأيى لا توجد عملات أجود من هذه العملات فى العصر المناسب بالرغم من أن بعض الناس يفضلون العملات التى من الاسكندرية .. ستجد مقعدا هناك يامستر هولمز ، لحظة واحدة من فضلك .. سأقوم حالا بوضع هذه العظام فى مكان آخر ، وأنت ياســـيدى .. آه .. نعم .. يا دكتور واطسون .. هل تسمح بوضع وعاء الزهور اليابانية هذا بعيدا عن طريقك ؟ فكما ترى توجد من حولى كل الاهتمامات الصغيرة التى فى حياتى ، وطبيبى دائمـا يقول لى اننى يجب أن أقوم بالمزيد من النشاط الرياضى ولكن لماذا أخرج ؟ هناك العديد من الأشياء التى تبقينى هنا ، فمجرد القيام بعمل القائمة المناسبة لكل الأشياء التى يحتويها أحد هذه الدواليب قد يستغرق منى حوالى ثلاثة أشهر على الأقل

وأخذ ينظر حوله فى فضول . فسأله هولمز :

ـ ولكن ألا تخرج أبدا ؟

- من النادر جدا ، فانني أستقل مركبة بين الحين والآخر وأذهب لابتياع أشياء جديدة لمجموعاتى ، ولكن فيماعدا ذلك فمن النادر أن أغادر هذه الغرفة ، لأنني لست قويب بدنيا بالقدر الكافى ، كما أن دراساتى العلمية تجعلنى شديد الانشغال ، ولكن يمكنك أن تتصور مدى الصدمة ، وكم كانت صدمة سارة بالنسبة لى عندما علمت بأمر هذه الشريحة من الحظ غير العادية . مطلوب مجرد شخص اسمه جاريديب واحد لاتمام الأمر وبالتأكيد يمكننا أن نجد واحدا ، كان لدى شقيق ولكنه توفى ، كما أن لدى نساء أقارب بلا عدد ، ولكن بالتاكيد لابد أن هناك جاريديب آخر فى مكان ما من العالم ، وقد سمعت انك تتناول القضايا الغريبة ولهذا السبب كتبت اليك ، وبالطبع هذا السيد الأمريكى محق تماما ، وكان من الواجب أن أستشيره أولا ولكننى تصرفت بحسن نية .

فقال هولمز :

- أعتقد انك تصرفت بمنتهى الحكمة فعلا ، ولكن

هل حقيقة تتطلع لان تصبح مالكا لقطعة ارض كبيرة فى امريكا ؟

ـ لا ياسـيدى بالتأكيد ، لاشىء يمكن ان يغرينى ويدفعنى الى مغادرة مجموعاتى ، ولكن هذا السـيد مستر جون جاريديب قد وعد بشراء نصيبى من الأملاك فورا ، وعندما نصبح ملاكا لأرض جاريديب .. خمسة ملايين دولار كانت حجم الأموال التى نكرها ، وهناك العديد من الأشياء فى السوق حاليا يمكن ان املا بها الفراغات التى فى مجموعاتى ، والتى لا استطيع الحصول عليها بسبب افتقارى لبضع مئات من الجنيهات .. وفكر فقط فيما يمكن ان افعله بمبلغ خمسة ملايين دولار ، ان لدى بالفعـــل البدايات لمجموعة وطنيـــة عظيمة .

كانت عيناه تلمعان خلف نظارته ، وكان واضحا تماما ان المستر ناثان جاريديب مستعد لمجابهة اى قدر من المشاكل فى سبيل العثور على جاريديب ثالث ..

وقال هولمز :

- اننى اتصلت لمجرد أن اقابلك يامستر جاريديب ولا يوجد مبرر لأن اقطع دراساتك اكثر من بضع دقائق فأنا احب أن أكون على صلة شـــخصية مع عملائى ، وهناك بضعة أسئلة قليلة احتاج لأن أسألك اياها ، وبما أن خطابك معى فى جيبى وهو فى غاية الوضوح ، وقد ملأت الفراغات عندما جاء السيد الأمريكى ، واعتقد أنه حتى هذا الاســـــبوع لم يكن لديك أى فكرة عن وجوده ؟

- هذا هو الواقع فعلا ، فقد اتصل بى يوم الثلاثاء الماضى .

- هل أخبرك بزيارته لى اليوم ؟

- نعم ، لقد حضر الى هنا بعد رؤيتك مباشـــرة وكان غاضبا جدا !

- لماذا غضب ؟

- يبدو أنه يظن أن تكليفى لك بالعمل كان اهانة له كرجل شريف ، ولكنه كان فى غاية السرور عندما عاد مرة أخرى .

ـ وهل اقترح أى أسلوب للتصرف ؟

ـ لا ياسيدى لم يفعل .

ـ هل طلب أو تسلم أى نقود منك ؟

ـ لا ياسيدى أبدا .

ـ ألم تلاحظ وجود أى غرض محتمل لديه ؟

ـ لا ، بالمرة فيماعدا ما أخبرنى به بشأن العثور على جاريديب ثالث .

ـ هل أخبرته عن ميعادنا هذا المساء ؟

ـ نعم ياسيدى فعلت .

جلس هولمز صامتا لبضع لحظات ، واستطعت أن أتبين أن الموضوع لازال غامضا بالنسبة له . وواصل هولمز أسئلته :

ـ هل لديك أى أشياء ثمينة جدا فى مجموعاتك ؟

ـ لا ياسيدى اننى لست رجلا ثريا ، انها مجموعة جيدة ولكنها ليست بالقيمة جدا .

ـ وهل لديه خوف من اللصوص ؟

ـ لا بالمرة ••

ـ منذ متى وانت تقيم فى هذا المسكن ؟

ـ منذ حوالى خمس سنوات •

وقطع أسئلة هولمز صـــوت طرق عال على الباب وما أن فتح عميلى الباب حتى اندفع المحامى الأمريكى فى انفعال الى داخل الغرفة صارخا وهو يلوح عاليا فى الهواء باحدى الجرائد ويقول :

ـ هأنت ذا يامستر ناثان جاريديب ، اننى أهنئك فأنت رجل ثرى ياسيدى ، ان عملنا قد تم فى سعادة وقد نجحنا تماما ، أما بالنسبة لك يامستر هولمز فلا نملك الا أن نقول لك آسفين اذا كنا قد سببنا لك اى ازعاج بدون فائدة •

ثم ناول الصحيفة لعميلنا الذى وقف يقرأ اعلانا حدده له الأمريكى فانحنينا للأمام انا وهولمز وقرأنا من فوق كتفيه وكان على النحو التالى :

« هوارد جاريديب ، صانع ماكينات حرث زراعية يدوية وبخارية ، عربات للمزارعين . الجا الى مبنى كروسفينور ، آستون ، بيرمنجهام .. »

فصرخ مضيفنا فى انفعال قائلا :

ـ ممتاز ، اذن نحن قد عثرنا الآن على رجلنـــا الثالث .

فقال الأمريكى :

ـ لقد بدأت فى عمل تحريات فى بيرمنجهام ، وقد ارسل لى وكيلى فى التو هذا الاعـلان المنشـــور فى الجريدة المحلية ويجب أن نسرع ونتصل بمستر هوارد جاريديب هذا ، وقد كتبت له بالفعل لأخبره بانك ستراه فى مكتبه بعد ظهر الغد فى حوالى الساعة الرابعة .

فقال مضيفنا وكان هذا الاقتراح كان صدمة كبيرة بالنسبة له :

ـ اتريدنى أن أراه ؟

فتساءل مستر جون جاريديب :

– حسن ، مارأيك يامستر هولمز ، ألا تظن ان ذلك من الأصوب ؟ .. انني أمريكي متجول ذو قصة شاذة . فما الذي يجعل مستر هوارد جاريديب يصدق ما اقوله له ؟ ولكنك يامستر جاريديب رجل انجليزي ذو مكانة مشرفة في العالم ، وهو بالتأكيد سيأخذ ما تقوله ماخذ الجد ، ويمكنني أن أذهب معك الى بيرمنجهام اذا رغبت في ذلك ، ولكن امامي في الغد يوما مشحونا بالعمل ، ويمكنني بسهولة أن آتي والحق بك هناك فيما بعد اذا احتجت الى .

فقال مستر ناثان جاريديب :

– انني لم اقم بمثل هذه الرحلة منذ سنوات .

– أنها أسهل رحلة صغيرة في العالم يامستر جاريديب ، لقد وجدت لك بالفعل ميعادا لقطارك سترحل في الساعة الثالثة عشرة وسرعان ما تكون في بيرمنجهام بعد الساعة الثانية ، ثم يمكنك أن تعود في

المساء ، ان عليك فقط أن ترى الرجل وتشرح له الامر ثم تحصل على اقرار موقع يثبت وجوده .

ثم أردف الأمريكي في شيء من الغضب :

- يا الهي ، اذا أخذنا في الاعتبار أنني قد قطعت كل هذه المسافة من وسط أمريكا ، فانه بالتأكيد يعتبر شيئا صغيرا جدا ما أطلبه منك في القيام بالسفر مسافة مائة ميل فقط من أجل العثـــور على آخر الجاريديب الثلاثة !

فقال هولمز :

- ان مستر جون جاريديب محق تمام الحق ، واعتقد ان ما يذكره حقيقي تماما .

وبدا انحناء ظهر مستر ناثان جاريديب وقد ازداد من ذي قبل ، وقال في أسى :

- حسن ، سأذهب اذا كان على أن افعل ذلك ، فانه من الصعب على بالتأكيد أن أرفض لك شيئا يامستر

جاريديب بالنظر لهذا الأمل الرائع الذى أضفيته على حياتى .

فقال هولمز :

ـ اذن ، اتفقنا ، وبلاشك ستوافينى بتقرير بأسرع ماتستطيع ؟

فقال الأمريكى وهو ينظر الى ساعته :

ـ سأرى امكانية ذلك ، حسن ، يجب أن أنصرف الآن ، سأتصل هنا غدا يامستر ناثان جاريديب وسأقابلك عند المحطة ، هل أنت فى طريقى يامستر هولمز ؟ لا .. حسن اذن .. الى اللقاء ، قد نحمل اليك أنباء طيبة .. فى مساء الغد .

ولاحظت ان صديقى هولمز بدا عليه الارتياح عندما ترك الأمريكى الغرفة ، واختفت النظرة المتعمقة التى كانت مرتسمة على وجهه ثم قال :

ـ أتمنى أن أفحص مجموعتك يامستر جاريديب ، ففى مهنتى يكون التقاط أجزاء غريبة من كل أشـــكال

المعرفة مفيدا فى أغلب الأحوال ، وهذه الحجرة التى تخصك تزخر تماما بالمعرفة غير العادية .

وبدا أن عميلنا قد انتشى من السعادة ولمعت عيناه خلف عدسات نظارته السميكة ثم قال :

ـ كنت أسمع دائما ياسيدى انك رجل بالغ المهارة والدقة ، ويمكننى أن أريك كل شىء الآن اذا كان لديك وقت .

فأجابه هولمز :

ـ للأسف لا وقت لدى ولكن مجموعتك كلها جيدة التنظيم حتى انها لاتحتاج الى شرح ، واذا أمكن أن احضر غدا ، أعتقد انك لن تمانع فى أن أشاهدها فى غيابك ؟

ـ بالطبع لا ، مرحبا بك تماما ، طبعا مسكنى سيكون مغلقا . ولكن مسز ساندرز موجودة دائما بالمنزل وحتى الساعة الرابعة وستجعلك تدخل بمفتاحها .

ـ حسن ، لقد تصادف أنني غير مشغول بعد ظهر الغد ، واذا تكرمت بتوضيح الأمر لمسز ساندرز فانني سأكون في غاية الامتنان ، آه يامستر جاريديب من هو وكيل المنزل الذى استأجرت هذا المنزل من خلاله ؟

اندهش عميلنا على اثر هذا السؤال المفاجىء ثم قال :

ـ هولواى وستيل فى طريق ادجار ، ولكن لماذا تسأل ؟

فاجابه هولمز ضاحكا :

ـ لأننى مهتم بتاريخ المنازل يامستر جاريديب ، وكنت أتساءل عما اذا كان هذا المنزل قد شيد فى أيام الملكة آن أم الملك جورج الأول ٠

ـ آه ، الملك جورج بدون أدنى شك ٠

ـ حقا ؟ لقد ظننت أنه قد شيد قبل ذلك بقليل على أننى من المؤكد أستطيع أنه أعرف بسهولة ، حسن ٠٠

الى اللقاء يامســــتر جاريديب ، اتمنى ان توفق فى رحلتك ·

واثناء سيرنا عبر طريق ادجار راينا مكتب وكيل المنزل ولكنه كان مغلقا فى ذلك اليوم ، فاتخذنا طريقنا نحو العودة الى شارع بيكر · ولم يذكر هولمز موضوع الجاريديب مرة أخرى الا بعد العشاء ، فقال :

ـ مشكلتنا الصغيرة قد حلت تقريبا ، لا شك انك انت أيضا قد فكرت فيها ·

فاجبته :

ـ اننى لا أفهمها على الاطلاق ياهولمز ·

ـ كل شىء سيكون واضحا فى الغد ، هل لاحظت شيئا غريبا فى هذا الاعلان ؟

ـ لاحظت أن كلمة « حرث » كانت غير صحيحة الهجاء ·

ـ آه ، هل لاحظت ذلك ؟ اننى أهنئك ياواطسون ، فانك تتقدم دائما ، أجل هى كلمة ســـيئة بالانجليزية

ولكنها كلمة أمريكية جيدة ، لقد نسخ مسئول المطبعة الاعلان كما تسلمه تماما ، لقد كان فى الواقع اعلانا أمريكيا ، ولكن من المتوقع أن نصدق أنه قد وضع عن طريق رجل انجليزى ، فكيف توضح ذلك ؟

ـ لا أستطيع أن أتصـــور سوى أن هذا المحامى الأمريكى قد وضع هذا الاعلان بنفسه ، ولكننى لا أعلم ماذا يمكن أن يكون هدفه من ذلك ؟!

ـ حسن .. هناك ثلاثة تفسيرات محتملة ، أحدهم واضح للغاية . فقد قصد أن يذهب مستر ناثان جاريديب الطيب العجوز الى بيرمنجهام ، وطبعا كان من الممكن أن أقول للرجل العجوز ان رحلته عديمة الفائدة ، ولكننى قررت أنه من الأفضـل أن أدعه ينصب وأن أســمح للموضوع بان يتطور طبقا لأغراض محامى كانساس ، غدا ياواطسون غدا سيكون يوما نشيطا .. !

نهض هولمز مبكرا فى صباح اليوم التالى ثم خرج وعندما عاد فى موعد الغداء لاحظت على وجهه تعبيرا بالغ الجدية ثم قال :

ـ انه أمر أكثر خطورة مما كنت أظن ياواطسون ، ويجب على أن أحذرك ولو أننى أعرف أن الخطر لن يكون الا مجرد المزيد من جذب الانتباه بالنسبة لك ، أظن أننى أعرف ياعزيزى واطسون الآن جيداً ، ولكن هناك خطرا بالفعل ويجب أن تتبين ذلك .

ـ حسن ، أنه لن يكون الخطر الأول الذى نشترك فيه معا ياهولمز وأتمنى الا يكون الأخير ، فما هو الخطر هذه المرة ؟

ـ لقد توصلت الى كنه مستر جون جاريديب المحامى من كانساس انه فى الحقيقة القاتل ايفانز ذلك الرجل الشيطانى الفظيع .

ـ انني خائف ولم أسمع عنه أبدا من قبل .

ـ آه .. ان الاحتفاظ بمعلومات موسوعية عن الجريمة فى ذاكرتك لايمثل جزءا من مهنتك ، لقد ذهبت لرؤية صديقنا ليستراد فى اسكوتلنديارد ، فالبوليس الانجليزى قد يفتقر الى التخيل ، ولكنهم يتميزون بالدقة

والحت علينا فكرة أن أتعقب أخانا مستر جون جاريديب، وذلك من خلال البحث فى سجلاتهم ، ولقد وجدت صورة لوجهه المستدير الباسم ، أما الأسماء التى كانت تحت الصورة فهى جيمس وينتر وموريكروفت وايفانز القاتل!

ثم أخرج هولمز مظروفا من جيبه واستطرد قائلا :

ـ لقد دونت هنا بضع نقاط أخرى عنه ، انه فى الرابعة والأربعين من عمره ، ولد فى شيكاغو ، وعرف عنه أنه أطلق النار على ثلاثة رجال فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه خرج من السجن بواســطة النفوذ السياسى ، وجاء الى لندن فى عام ١٨٩٣ ، وفى يناير ١٨٩٥ أطلق النار على رجل أثناء عراك بسبب لعب الورق بأحد الملاهى الليلية فى طريق واترلو .. والرجل الذى مات كان رودجر بريسكوت الذى اشتهر بالتزوير فى شيكاغو ، وأرسل ايفانز القاتل الى السجن ولكنه خرج من السجن فى العام الماضى ، ومنذ ذلك الحين والبوليس يراقب تحركاته ، ولكن يبدو أنه يعيش حياة

شريفة ، انه رجل فى منتهى الخطورة ويحمل فى العادة مســـدسا ، ولا يهاب اطلاق النار ، وهذا هو رجلنا ياهولمز ٠

فتساءلت قائلا :

ـ ولكن ماهو هدفه من موضوع جاريديب هذا ؟

ـ لقد بدأ هذا يتضـــح ، لقد ذهبت لوكيل منزل ناثان جاريديب وعلمت انه يقيم فى شارع ليتل ريدر منذ خمس سنوات كما أخبرنا من قبل ، ولكن المسكن كان خاليا لمدة عام قبل سكنه أما قبل ذلك فان المسكن كان مؤجرا لرجل غامض يدعى والدرون ، وكان مكتب الوكيل يتذكر جيدا مظهر والدرون ، وقد اختفى هذا الرجل فجأة ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك ٠٠ وكان رجلا طويلا شديد السمرة وذا لحية ، وبريسكوت ذلك الرجل الذى صرعه ايفانز القاتل كان طبقا لما ذكره أصدقاؤنا فى اسكوتلنديارد رجلا طويلا وأسمر وأيضا كان ذا لحية ، واستنتاجى هو أن بريسكوت المجرم الأمريكى قد تصادف أن أقام فى شارع ليتل رايدر فى الحجرة

التى يحتفظ فيهاجاريديب العجوز بمجموعاته ، لذا نجد أن هناك فى النهاية ارتباطا ٠٠ أترى ؟!

ـ وأين الدليل ؟!

ـ حسن ، يجب أن نذهب الآن للبحث عن ذلك ٠

ثم التقط هولمز مسدسا من الدرج وناوله لى قائلا :

ـ لدى مسدسى الخاص معى ، ويجب أن نكون مستعدين اذا بدأ ايفانز القاتل فى اطلاق النار ، وسأمنحك ياواطسون ساعة لتنام بعد الظهيرة ، ثم سيكون الوقت قد حان على ما أعتقد لمغامرة فى شارع ليتل رايدر ٠

كانت الساعة فى تمام الرابعة مساء عندما وصلنا الى منزل مستر ناثان جاريديب العجيب ، وكانت مسز ساندرز على وشك الرحيل ولكنها لم تتردد فى أن تسمح لنا بالدخول ، وما أن أغلق الباب بالقفل الذاتى ووعدها هولمز بالتأكد من أن كل شىء سيكون فى أمان قبل انصرافنا ، انصرفت وأغلق الباب الأمامى للمنزل ولمحنا

مسز ساندر تمر عبر زجاج النوافذ ، واصــــبحنا الآن وحدنا تماما فى هذا الجزء الأسفل من المنزل ، وقام هولمز بعمل فحص سريع للمسكن ، وفى ركن مظلم كان يقبع دولاب بعيد عن الحائط بعض الشىء ، فاختبأنا خلف هذا الدولاب بينمـــا تحدث الى هولمز فى همس قائلا :

ـ ايفانز يريد أن يخرج السيد العجوز بعيدا عن حجرته ، ان هذا واضح جدا ، ولما كان هذا الهاوى المتعدد الهوايات لا يخرج أبدا ، لذا فمشكلة القاتل لم تكن بالمشكلة السهلة ، ويبدو أن كل أكاذيبه حول وصية جاريديب وأراضى جاريديب لم تكن تهدف الا الى اخراج مستر ناثان جاريديب بعيدا عن المنزل ليوم واحد ، ولابد أن نعترف ياواطسون ان أكاذيب القاتل كانت على شىء من المهارة ، بالرغم من أن ذلك الاســـم الغريب لجاريديب العجوز قد أعطى القاتل فرصة من الصعب توقعها .

فسألت هولمز :

ـ ولكن ماذا يمكن أن يريد القاتل من هذا المكان ؟

ـ هذا ما نحن هنا لنعرفه ، ولا أظن أن له أى علاقة بالمرة بعميلنا ، انه شيء مرتبط بالرجـــل الذى قتله إيفانز ، رجل ربما يكون قد اشترك معه فى بعض أنواع النشاط الاجرامى ، هناك سر اجرامى فى هذه الغرفة ، وقد اعتقدت فى البداية أن مستر ناثان جاريديب لديه ضمن مجموعاته شيء ذو قيمة أكبر مما يتصور ، شيء يستحق اهتمام مجرم خطير ، ولكننى اكتشفت أن روجر بريسكوت الأثيم كان مقيما هنا ، فتصورت أنه لابد أن يكون هناك تفسير مختلف تماما ، حسن ، ياواطسون الشيء الوحيد الذى نستطيع أن نفعله الآن أن نتذرع بالصبر وننتظر ونراقب !

وبعد لحظات سمعنا صوت الباب الأمامى يفتح ثم يقفل ، وبعد ذلك سمعنا صوت المفتاح وهو يدور فى القفل ، واذا بالأمريكى يدخل الى الحجرة ثم يغلق الباب خلفه بهدوء ، وأخذ يفحص كل أرجاء الحجرة ببصره ليتبين أن كل شيء آمن ، ثم ألقى بمعطفه الخارجى

واتجه نحو المائدة التى فى وسط الحجرة بخطوات ثابتة لرجل يعرف تماما ماذا عليه ان يفعل وكيف يفعله ، ودفع المائدة نحو احد الجوانب ثم رفع مربع السجادة الذى كانت موضوعة عليه المائدة ، ثم لف السجادة وازاحها تماما والتقط احدى أدوات اللصوص من جيبه الداخلى وانكفأ يعمل فى الأرض ، وبعد برهة سمعنا صوت ألواح تنزلق وظهرت فجوة مربعة في الأرض ، فأشعل ايفانز القاتل ثقابا أضاء به أحد المصابيح ثم اختفي داخل الفجوة ، وكان من الواضح أن فرصتنا قد حانت فلمس هولمز رسغى فى اشارة ، وتحركنا معا فى هدوء عبر الحجـــرة فى اتجاه الفجوة التى بين الألواح ، وبالرغم من المجهود الذى بذلناه لعدم احداث أى صوت الا أن ايفانز لابد أنه سمع صوتا بســيطا أثناء مرورنا فوق الألواح القـــديمة للأرض ، اذ أطل برأسه فجأة من خلال المساحة المفتوحة ونظر حوله فى قلق ، وما أن رآنا حتى ظهرت على وجهه نظرة غضب ويأس وكراهية ولكنها سرعان ما تحولت تدريجيا الى

ابتسامته العريضة القديمة عندما اكتشـــف أن هناك مسدسين مصوبين الى رأسه ·

فقال في برود وهو يتسلق خارجا من الفجوة :

ـ لقد كنت أشد ذكاء منى يامستر هولمز ، واظن انك تبينت من البداية أننى كنت أقول الأكاذيب ، حسن ياسيدى أهنئك ·· لقد هزمتنى و ···

وفى لحظة كان قد جذب مسدسا من جيبه الداخلى وأطلق طلقتين ، فشـــعرت بألم مفاجىء ساخن ومدمر وكأن حديدا ساخنا ومحميا قد التصق بأعلى ساقى ، ثم اذا بصوت تحطيم على أثر التقاء مسدس هولمز برأس ايفانز ، ورأيت الرجل ممددا على الأرض والدماء تجرى على وجهه ، بينما أخذ هولمز يفتشه بحثا عن أسلحة ، واذا بذراعى صـــديقى تحيطان بى لتقودنى الى أحد المقاعد ·

ـ انك لم تصب ياواطسون ؟ أوه أرجوك قل انك لم تصب بأذى ؟

ولم أهتم بالجرح ، بل لم أكن لأهتم بعدة جروح اخرى ، اذ أننى لو لم أصب بهذا الجرح لما عرفت ابدا ذلك الولاء والحب غير العادى الذى يشـــعر به هولمز نحوى ، هذه المشاعر التى يخفيها دائما خلف مظهره الخارجى البارد ، وللحظة خاطفة لمحت دموعا فى عينيه الصافيتين الجامدتين ، أما تلك الشفاة الثابتة فكانت ترتجف ، وتبينت فجأة أن لهولمز قلبا كبيرا بالاضافة الى عقله الـــكبير ، وكانت هذه اللحظة من الادراك هى مكافأتى على هده السنين الطويلة من الخدمة المتواضعة معه ؟ .

– لا شىء ياهولمز ، انه مجرد خدش بسيط .

فقام هولمز بعمل قطع طويل فى سروالى بواســـطة سكين جيب ثم صرخ قائلا :

– انك على حق ، الجلد كاد أن يتمزق .

واستطعت أن أسمع صدى الارتياح فى صوته ، ثم استدار نحو سجيننا ، والقى عليه نظرة احتقار باردة وقال :

- إنه من حسن حظك ، فلو كنت قتلت واطسون ، لم تكن لتخرج حيا من هذه الحجرة ، والآن ياسيدى ماذا لديك لتقوله ؟

ولم يكن لديه ما يقوله ، اذ كان ممددا هناك على الأرض وهو ينظر الينا فى غضب طفولى ، واتكأت على ذراع هولمز ونظرنا معا داخل المخزن الصغير فى قاع الفجوة التى فى الأرض ، وكان لايزال مضاء بالمصباح الذى هبط به ايفانز فرأينا كتلة من الماكينات الصدئة ولفائف ضخمة من الأوراق بالاضافة لكمية من الزجاجات وعددا من الحزم الصغيرة النظيفة والمرتبة فى نظام فوق احدى الموائد الصغيرة .

فقال هولمز :

- ماكينة طباعة لطبع أوراق النقود المزيفة !

فقال سجيننا وهو يجاهد للوقوف على قدميه ثم يغوص فى أحد المقاعد :

- نعم ياسيدى ، ان بريسكوت كان اكبر مزور وجد

فى لندن وهذه ماكينة طباعة ، اما الحزم التى على المائدة فهى عبارة عن الفين من الاوراق المالية قيمة كل واحدة منها مائة جنيه ، وهى من الجودة والاتقان بما يكفى لخداع أى شخص ، تفضلوا ياســـادة واطلقوا سراحى ودعونا نعقد صفقة معا ·

فضحك هولمز وقال :

ـ اننا لا نفعل مثل هذه الأشياء فى هذه الدولة يامستر ايفانز ، لقد صرعت هذا الرجل بريسكوت ، اليس كذلك ؟

ـ أجل ياسيدى ، وقد أرسلت للسجن لمدة خمس ســـنوات من أجل ذلك ، بالرغم من أنه كان هو الذى التقط مسدسه أولا ·· خمس سنوات فى السجن بينما كان من الواجب منحى جائزة ملكية ، اذ لايوجد رجل على قيد الحياة يمكنه أن يميز أوراق بريسكوت المالية المزيفة فى أى بنك من بنوك انجلترا ، واذا لم أكن قد قتلته لامتلأت لندن بأكملها بهذه الأوراق المالية · وكنت

انا الرجل الوحيد فى العالم الذى يعرف أين يصنع بريسكوت هذه الأوراق فهل يمكن أن تلومنى لرغبتى فى الدخول الى هذا المكان ؟ وعندما وجدت جامع العظام العجوز ذا الاسم العجيب يجلس على قمتها تماما .. بالطبع كان من الواجب أن أفعل شيئا بكل مافى وسعى للتخلص منه ، وربما كان من الأصوب أن أطلق عليه النار ، وسيكون من السهل جدا القيام بذلك ، ولكننى أملك قلبا رقيقا ولا أستطيع أن أبدأ التصويب مالم يكن الرجل الآخر يملك أيضا مسدسا . ولكن يامستر هولمز ما الخطأ الذى ارتكبته ؟ .. على أية حـــال اننى لم أستخدم تلك الماكينة التى تقبع هناك . ولم ألحق الضرر بمستر جاريديب العجوز .. اذن ماهى الجريمة التى تجعلك تقبض على ؟!

فقال هولمز :

- مجرد محاولة القتل أى الشـــروع فيه على ما أعتقد ، ولكن هذا ليس من اختصاصنا أنه أمر يخص

اسكوتلنديارد ، هل تسمح ياواطسون بمجرد الاتصال هاتفيا ، فهذه المكالمة متوقعة تماما .

وهكذا كانت الحقائق حول ايفانز القاتل واختراعه المميز عن الجاريديب الثلاثة .

وسمعنا مؤخرا أن مستر ناثان جاريديب العجوز لم يتخلص أبدا من الصدمة التى خيبت آماله ، اذ فقد عقله وأخذ بعيدا الى احدى المستشفيات الخاصة فى بريكستون .

وكان يوما بهيجا فى اسكوتلنديارد عندما تم اكتشاف ماكينة بريسكوت ، اذ بالرغم من علمهم بوجود الماكينة الا أنهم لم يتمكنوا من اكتشاف مكانها أبدا بعد موت الرجل .

والآن ينام العديد من ذوى الرتب الرسمية الكبيرة فى اسكوتلنديارد نوما هادئا فى سلام أثناء الليل ، وهم يشعرون بالامتنان الشديد لايفانز القاتل الذى أرشدهم

الى مخزن بريسكوت . بل أنهم قد يرحبون بمنحه هذه الجائزة التى كان يتحدث عنها ، الا أن القاضى خلال محاكمة ايفانز قد نظر للقضية نظرة فيما يبدو كانت أقل لطفا .. اذ أعيد القاتل مرة أخرى الى السجن الذى كان قد تركه منذ عهد قريب .. !

القصة السابعة :

مغامرة بنسيبون ويستيريا

فى يوم من أيام أواخر شهر مارس الباردة ، وكان يوما عاصــــفا ، وكنا نجلس أنا وهولمز لتناول طعام الغداء ، واذا بنا نسمع طرقا على الباب ، ثم أحضرت مالكة منزلنا برقية قرأها هولمز ، وبسرعة كتب هولمز الرد ، الا أنه لم يذكر لى شيئا عنها ، ولابد أن الأمر ظل يشغل تفكيره ، اذ ظل ينظر الى البرقية ، وأخيرا

بعد العشاء قرأ هولمز البرقية بصوت عال (تعرضت فى التو لتجربة غير عادية . هل يمكن أن احضر وأراك ؟ »

« سكوت ايكلز ـ صندوق بريد شيرنج كروس » .

فسألته قائلا :

ـ وهل سكوت ايكلز رجل أم امرأة ؟

ـ أوه ، رجل بالطبع مامن امرأة يمكن أن ترسل مثل هذه البرقية أبدا ، المرأة تحضر مباشـــــرة فى العادة .

ـ وهل وافقت على رؤية مستر سكوت ايكلز ؟

ـ ياعزيزى واطسون ، هل يجب أن تسأل ؟ ان العمل الذهنى ضرورى قطعا بالنسبة لى على الدوام .

ثم سمعنا صوت خطوات أقدام على الدرج .

فقال هولمز :

ـ آه ، هاهو عميلنا قد حضر الآن .

وكان ضيفنا طويلا بدينا وبالغ الوقار ، وكان شعره الفضى مبعثرا ووجهه الأحمر يبدو منتفخا من الغضب وقال فور دخوله :

ـ لقد تعرضت لتجربة سيئة وشـــديدة الغرابة يامستر هولمز ، وقد جئت اليك للاستيضاح ٠

فقال هولمز بلطف :

ـ اجلس من فضلك يامستر سكوت ايكلز ، والآن اشرح لى بالضبط الغرض من زيارتك !

ـ حسن ياسيدى ، لم تكن هناك جريمة ، لذلك لم أذهب للبوليس ، وبالطبع لم يسبق لى التعامل مع مخبر خاص من قبل ولكن ٠٠

فقاطعه هولمز قائلا :

ـ وثانيا ، لماذا لم تحضر فورا ؟

فتساءل مستر سكوت ايكلز :

ـ ماذا تقصد ؟

نظر هولمز الى ساعته وقال :

– انها الآن الثانية والربع وقد أرسلت برقيتك من مكتب شيرنج كروس فى حوالى الساعة الواحدة ، على أن ملابسك ومظهرك يوحيان بأن تجربتك المزعجة حدثت فور استيقاظك من النوم هذا الصباح ٠

فنظر عميلنا الى ملابســـه غير المهندمة وتحسس ذقنه الخشنة ثم قال :

– انك محق يامستر هولمز ، لم يكن لدى وقت هذا الصباح لأفكر فى مظهرى ، وكنت أريد أن أهرب من ذلك المنزل بأسرع ما أستطيع ولكننى قمت بعمل بعض التحريات الخاصة بى قبل أن آتى اليك فذهبت الى وكيل المنزل أولا ، فأخبرونى أن مستر جراسيا قد سدد ايجاره وأن كل شىء على مايرام فى بنسيون ويستيريا ٠

فقال هولمز ضاحكا :

– ياسيدى العزيز ، انك تشبه صـــديقى الدكتور

واطسون الذى من عادته السيئة أن يبدأ قصصه من النهاية ، من فضلك رتب أفكارك ثم ابدأ من البداية .

وهنا حدثت مقاطعة للحديث ، فقد دخلت مسز هاديسون وهى تصطحب معها توبياس جريجسون وضابط شرطة آخر الى الحجرة .

وجريجسون كان مخبرا بسكوتلنديارد ، فصافح هولمز ثم قدم الضابط الآخر الينا باسم مستر باينس من بوليس منطقة سورى ، ثم استدار الى مستر سكوت ايكلز وقال له :

ـ هل أنت مستر جون سكوت ايكلز من بوفان هاوس لى ؟

ـ نعم هو أنا ..

ـ أننا نتعقبك طوال هذا الصباح .

فتساءل عميلنا قائلا :

ـ ولكن لماذا ؟ ماذا تريدون منى ؟

فقال جريجسون :

ـ نريد منك بيانات موت مستر ألويسيس جراسيا من بنسيون ويستيريا بالقرب من آشر

فابيض وجه مستر سكوت ايكلز فى هذه اللحظة وقال :

ـ مات ؟ هل قلت انه مات ؟

ـ نعم ياسيدى لقد مات أمس ٠

ـ ولكن كيف مات ، أكانت حادثة ؟

ـ كانت حادثة قتل بدون أدنى شك ٠

ـ آه ياالهى ، ان هذا فظيع ، ولكن بالتأكيد لايمكنك أن تشك فى ؟

ـ وجد فى جيب الرجل الميت خطاب منك ، وقد اتضح من هذا الخطاب انك كنت تنوى قضـــاء الليلة الماضية بمنزله ٠

ـ وهذا ما فعلته ٠

فتنهد جريجسون وهو يلتقط مفكرته فسارع هولمز بقوله :

– انتظر لحظة ياجريجسون ، انك تريد بيانا واضحا من سكوت ايكلز ، أليس كذلك ؟ لقد كان الرجل على وشك أن يعطينا واحدا من هذه البيانات عندما وصلتم ، من فضلك ياواطسون قدم لعميلك كوبا من الشراب ، أرجوك حاول أن تنسى وجود ضباط البوليس هؤلاء وأخبرنا بكل شيء .

ابتلع ضيفنا الشراب ، وبدأ وجهه يستعيد لونه الطبيعى وبدأ يقول :

– اننى غير متزوج ولدى العديد من الأصدقاء ، ومستر ميلفيل هو أحد هؤلاء الأصدقاء ، وهو سيد أحيل الى الاستيداع ويقيم فى كينسجتون ، ومنذ بضعة أسابيع توجهت للعشاء لدى أسرة ميلفيل فقدمونى لشاب يدعى جراسيا حيث أخبرنى هذا الشاب أنه ينتمى الى مكتب الحكومة الاسبانية فى لندن ، وكان يتحدث الانجليزية بطلاقة كما أنه كان وسيما وذا سلوك ممتاز

وقد بدا وكأنه قد أحبنى جدا اذ لم يمض يومان فقط الا وكان قد حضر ليرانى فى « لى » ثم لم يمض طويلا حتى دعانى لقضاء بضعة أيام فى مسكنه بينسيون ويستيريا الذى يقع بين آشر وأوكشوت فى سورى ..
وقد رتبت أن أبدأ زيارتى فى مساء الأمس . وكان جراسيا قد وصف لى أهل بيته بالفعل .. كان هناك خادم اسبانى مخلص وطاه من أصل أمريكى هندى .. فاستأجرت مركبة من محطة آشر .. وكان بنسيون ويستيريا على بعد حوالى ميلين فى الجانب الجنوبى من القرية ، وكان منزلا بالغ الضخامة بالنسبة للأرض الخاصة المحيطة ، ولكنه كان فى حالة سيئة من الفقر .

وفتح لى جراسيا الباب بنفسه ومنحنى ترحيبا بالغ الود ، وقادنى الخادم الاسبانى الى حجرة نومى وقد بدا الخادم حزينا ومكتئبا شأنه شأن المنزل نفسه .

كنت الضيف الوحيد على العشاء ، وفعل جراسيا كل ما فى وسعه ليسامرنى ، ولكننى استطعت أن أتبين

ان افكاره كانت مشتتة فقد كان يقضم اظافره وظل ينقر بأصابعه على المائدة ، وقد بدا أنه نافد الصبر ، حتى الوجبة نفسها لم تكن جيدة الطهى أو حسنة التقديم . وقد تمنيت عدة مرات خلال ذلك المساء ان أعود لمنزلى مرة أخرى .

وقبل أن ينتهى العشـــاء أحضر الخادم مذكرة لجراسيا ولاحظت أن مضيفى قد بدا أكثر غرابة وغفلة بعد أن قرأ هذه المذكرة ولم يعد يحاول تبادل الحوار ، ولكنه جلس وأخذ يدخن . وفى حوالى الحادية عشـرة توجهت للفراش وأنا أشعر بالراحة . وبعد مضى بعض الوقت نظر جراسيا من باب حجرتى وسألنى اذا كنت قد قرعت الجرس ، فقلت له اننى لم أفعــل ، فاعتذر لازعاجى في هذا الوقت المتأخر ، وأخبرنى أن الساعة كانت حوالى الواحدة ، وعندما انصرف استغرقت فى النوم ..

ولم استيقظت الا فى حوالى الساعة التاسعة ، وكنت قد طلبت من الخادم الاسـبانى أن يوقظنى فى

الساعة الثامنة ، لذا فقد اندهشت لهذا السهو الذى انتابه . فقفزت من الفراش وقرعت الجرس ، ولكن لم يأت أحد ، فقرعته مرة تلو المرة ولكن ما من مجيب ، فظننت أن الجرس ربما يكون تالفا ، وارتديت ملابسى بسرعة ثم اندفعت فى غضب هابطا السلم لأطلب بعض الماء الساخن ، ولكن لم يكن هناك أحد ، فصحت فى القاعة ولكن بلا أى اجابة ، ثم أخذت أجرى من حجرة الى حجرة ، ولكن لم يكن هناك أحد فى اى مكان .. ثم طرقت على باب حجرة جراسيا ، وكانت أيضا بلا اجابة ، فأدرت مقبض الباب ودخلت الغرفة ، ولكنها كانت خالية والفراش لم يستخدم أيضا ، اذن قد ذهب المضيف الغريب والخادم الغريب والطاهى الغريب .. كلهم اختفوا أثناء الليل ، وكانت هذه نهاية زيارتى لبنسيون ويستيريا .

فرك هولمز يديه فى ابتهاج وتساءل قائلا :

– وماذا فعلت بعد ذلك ؟

– كنت فى شدة الغضب ، وظننت فى البداية أنها

كانت نكتة مدبرة فحزمت حقيبتى وتركت المنزل وسرت الى آشـــر ، وبحثت عن مكتب اخوان آلان الوكيـل الرئيسى للمنازل فى القرية وسألته بعض الأسئلة حول مستر جراسيا ، وفكرت أن جراسيا ربما قد اضطر الى الرحيل فجأة من أجل تجنب سداد الايجار ، ولكن الوكيل شكرنى على لفت نظره وأخبرنى أن جراسيا قد سدد ايجار عدة شهور مقدما ، فعدت الى لندن وقمت بعمل بعض التحريات لدى المكتب الحكومى الاسبانى ، ولكن الرجل لم يكن معروفا لديهم هناك ، فتوجهت بعد ذلك لرؤية ميلفيل الذى تصادف أن تقابلنا فى منزله أنا وجراسيا لأول مرة ، ولكنه لم يعرف سوى القليل جدا عن هذا الرجل ، فأرسلت اليك تلك البرقية يامســتر هولمز ، اذ أن أحد أصدقائى سبق وأن ذكر اسمك أمامى وقال انك تعطى نصيحة فى القضايا الصعبة .

وعندئذ اســتدار ســكوت ايكلز نحو جريجسون وقال :

ـ لقد ذكرت كل الحقيقة أيها الضابط ، ولا أعرف

شيئا اكثر من ذلك على الاطلاق بشأن مستر جراسيا ووفاته ، انني اريد فقط أن أساعد البوليس بكل وسيلة ممكنة ٠

فاجابه جريجسون :

ـ انني متأكد من هذا يامستر سكوت ، فقصتك تتفق تماما مع كل الحقائق في القضية ٠ وعلى سبيل المثال وجدت تلك المذكرة التي وصلت أثناء العشاء في بنسيون ويستيريا ، ماذا فعل بها جراسيا بعد أن قرأها ؟

ـ طواها ثم ألقاها في النار ٠

فاستدار جريجسون نحو ضابط الشــــرطة الآخر وقال له :

ـ حسن يامستر باينس ٠

وكان باينس مخبر المدينة رجلا بدينا ذا وجه أحمر وعينين لامعتين وذكيتين ، فابتســــم والتقط قطعة من الورق من جيبه ، وكانت محترقة في بعض المواضع ثم قال :

ـ جراسيا لا يحسن القذف ، فالخطاب لم يحترق الا قليلا ، اذ أنه سقط فى الموقد ولم يسقط فى النار ، هل اقرأه بصوت عال على هؤلاء السادة يامستر جريجسون ؟

ـ بالتأكيد يامستر باينس ٠

ـ ان المذكرة تقول :

(الواننا الخاصة خضراء وبيضاء ، افتح أخضر اقفل ابيض ، سلم رئيسى ، اول ممر ، السابع على اليمين ، باب أخضر ٠ ـ د ـ)

وكانت الورقة معنونة على الوجه الآخر الى مستر جراسيا ـ ويستيريا ويبدو أن الخطاب بخط يد امرأة ، ولكننا نعتقد أن العنوان كتبه شخص آخر ٠

فتساءل مستر سكوت ايكلز فى صبر نافد :

ـ ولكن ماذا حدث لجراسيا ؟

ـ عثر عليه هذا الصباح ميتا بالقرب من اوكسشوت

على بعد نحو ميل من منزله ، وكل عظام راسه قد تحطمت بواسطة عدة ضربات باحد الأسلحة الضخمة الثقيلة ، انه مكان موحش واقرب منزل يقع على بعد ربع ميل من هذا المكان .

فسأل هولمز :

ـ هل تمت سرقته ؟

فاجابه باينس :

ـ لا ، لا توجد أى محاولة للسرقة

فقال سكوت إيكلز :

ـ ان كل هذا فظيع وشديد الايلام ولكن ما دخلى أنا فى هذا الأمر ؟

فاجابه باينس :

ـ لأن الورقة الوحيدة التى كانت فى جيب مستر جراسيا كانت خطابك أنت ياسيدى ، وكان المظروف هو الذى أرشدنا الى اسم وعنوان الرجل الميت ، وعندما

وصلنا الى منزله فى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم لم نجد بالداخل لا انت ولا احدا غيرك ، وقد تعقبك مستر جريسجون هناك عند مكتب بريد شيرنج كروس من خلال برقيتك التى ارسلتها من هناك .

فقال جريجسون :

– والآن ياسيدى يجب أن تأتى معنا الى اسكوتلنديارد وتعطينا شهادتك كتابة .

– بالتأكيد ، سآتى فى الحال ، ولكننى لازلت عميلك يامستر هولمز ، أريد أن أعرف الحقيقة خلف هذا الأمر .

فسأل هولمز :

– مستر باينس ، هل تعرف متى قتل الرجل بالضبط ؟

– لقد كان ممددا فى الحقل منذ الساعة الواحدة ، فقد امطرت السماء حوالى هذا الوقت ، وبالتأكيد فان القتل حدث قبل سقوط الأمطار .

فصرخ عميلنا قائلا :

ـ ولكن هذا مستحيل تماما يامستر بايفس • لقد تحدث الى فى مخدعى فى الساعة الواحدة !

فقال هولمز مبتسما :

ـ انه بالتاكيد أمر غريب ولكنه ليس مستحيلا •

وفى المساء اثناء جلوسنا سألنى هولمز :

ـ هل كونت اى رأى حـــول هذا الموضـــوع ياواطسون ؟

فاجبته قائلا :

ـ بما أن الخـــدم قد اختفوا فمن المحتمل أنهم ضالعون على ما أعتقد فى هذه الجريمة :

فقال هولمز :

ـ هذا ممكن ، ولكن لماذا يهاجمونه فى نفس الليلة التى يستضيف فيها زائرا ؟

فاعترضت قائلا :

- ولكن لماذا هربوا ؟

- هذه هى المشكلة ياواطسون كما أن تجربة مستر سكوت ايكلز الغريبة هي لغز أيضا ، لماذا يسعى شاب جذاب مثل جراسيا الى صداقة شخص متوسط العمر وعلى قدر كبير من الغباء مثل سكوت ايكلز ، وماهى نوعية سكوت ايكلز التي لها مثل هذا الاعتبار ، من الجلى أنه رجل آمن ، رجل انجليزى من الطراز القديم الذى يصدقه ويثق به باقى الرجال الانجليز ، وقد رأيت كيف أن رجلي البوليس قد تقبلا قصته الشاذة ، لقد احتاجه جراسيا كشاهد ياواطسون .

- ولكن بماذا كان سيشهد ؟

- يمكنه أن يقسم أن مضيفه كان بالمنزل فى الساعة الواحدة من هذا الصباح ، وعندما أخبره جراسيا انها الواحدة ربما لم تكن تزيد عن منتصف الليل .

- وماهو تفسيرك للرسالة ، والوانها الأخضر والأبيض .. ؟

فأجاب هولمز :

ـ هذا يبدو كسباق الخيل ، وافتح أخضر ، اقفل أبيض لابد أن تكون اشارة ما ، وباقى الرسالة يبدو أنها ميعاد ، وقد يكون هناك زوج غيور فى مكان ما من هذه القضية ثم هناك امضاء بحرفه (د) .

ـ الرجل كان اسبانيا وأظن أن « د » تمثل الحرف الأول من اسم دولوريس وهو اسم نسائى شائع فى اسبانيا .

ـ حسن ياواطسون ، حسن جدا ، ولكن مستحيل تماما ، فالاسبانى يمكن أن يكتب للاسبانى الآخر باللغة الاسبانية ، اما كاتب هذه المذكرة فهو بالتأكيد انجليزى على أن الأمر لايزال غامضا وقد أرسلت برقية قد تمدنا ببعض المعلومات المفيدة .

ولما وصل الرد على برقية هولمز ، ناوله لى ، ولم يكن الرد سوى قائمة بأسماء وعناوين فبدأت أقرأ :

لورد هارينجى ـ الوادى ، سير جورج فوليوت ـ ابراج

اوكسشوت، مستر هاينز - بوردى بلاس، مستر جيمس باكر - وليامز فورتون أولد هال، مستر هندرسون - هاى كابل، مستر جاشواستون - نيثر والسلينج .. انا لا افهم شيئا ياهولمز !!

- يازميلى العزيز هل نسيت الرسالة التى أرسلتها « د » الى جراسيا (سلم رئيسى، أول ممر، السابع على اليمين) اذن المنزل الذى نبحث عنه له أكثر من سلم واحد، واحد الممرات فى هذا المنزل يتضمن سبعة أبواب على الأقل، اذن لابد انه منزل بالغ الضخامة ياواطسون، ومن المحتمل أن يكون على مسافة ميل أو اثنين من أوكسشوت، وبرقيتى كانت الى اخوان آلان وكيل المنازل وقد طلبت منهم أن يرسلوا لى قائمة بكل المنازل الضخمة فى حى أوكشوت وهاهو الرد !

توجهنا بعد الظهر الى آشر بالقطار، وحجزنا غرفا فى فندق القرية، وفي المساء توجهنا مع مستر باينس الى بنسيون ويستيريا وكان المنزل يلفه الظلام فيما عدا

ضـــوء ضـــعيف يطل من احدى النوافذ فى الدور الأرضى ٠

فأوضح باينس قائلا :

ـ يوجد أحد رجال البوليس بالداخل ، وساطرق على النافذة ٠

ثم عبر الحشائش ونقر على زجاج النافذة فسمعت صرخة تحذير ورأيت أحد رجال البوليس يقفز فى عصبية من فوق مقعدة ، وبعد دقيقة فتح الباب الأمامى بينما كانت الشمعة التى فى يده ترتعش فى عنف !

فتساءل باينس قائلا :

ـ ما الخبر ياوالتر ؟!

ـ اننى ســـعيد لقدومك ياسيدى لقد كان انتظارا طويلا وهو منزل ساكن وموحش بالاضافة الى أننى لا أحب مثل هذه الأشـــياء الفظيعة التى فى المطبخ ٠ وعندما نقرت على النافذة تصورت أن الشيطان قد أتى مرة أخرى ٠

فسأله بايتس فى حدة :

- ماذا تعنى ؟

- الشيطان ياسيدى كان عند النافذة !

- ما الذى كان عند النافذة ؟ .. ومتى .. ؟!

- كان ذلك منذ حوالى ساعتين ، وكان الظلام قد بدأ ينتشر ، وكنت جالسا أقرأ ولا أدرى ما الذى جعلنى أرفع رأسى وأنظر ، ولكن كان هناك وجه بشـــع عند النافذة ، وسأراه فى أحلامى ياسيدى .. أعرف أننى سأفعل !

- رجل البوليس يجب الا يتحدث أبدا بهذا الأسلوب الساذج ياوالتر ..

- أعرف ياسيدى ، ولكن ذلك أخافنى حقيقة ، انه لم يكن أسمر ياسيدى وأيضا لم يكن ابيض ، كان نوعا من الرمادى الشاحب المائل للسمرة ، لون الخزف المائل للبياض ، وكان بالغ الضخامة ياسيدى ، وجهه أكبر

مرتين من وجهك ياسيدى ·· وله عينان كبيرتان واسنان ضخمة بيضاء مثل الحيوان المفترس !

فقال بايفس :

– لا ، انك على ما اظن كنت تحلم ياوالتر ·

فقال هولمز :

– يمكننا بسهولة أن نتبين ذلك ·

ثم أضاء هولمز بطارية الجيب الصغيرة الخاصة به ، واخذ يفحص عن قرب سطح الحشـــائش خارج النافذة ، ثم قال :

– نعم انه حذاء مقاس ١٢ على ما اظن ، لابد أنه كان شخصا بالغ الضخامة ·

فسألته :

– وأين ذهب ؟

– يبدو أنه اتخذ طريقه خلال هذا السياج ·

فقال باينس :

ـ حسنا ، لدينا أشياء أخرى علينا أن نفكر فيها الآن يامستر هولمز ، دعني أريك المطبخ .

وكان المطبخ عبارة عن غـــرفة عالية مظلمة خلف المنزل ورأينا كومة من القش وبعض أغطية الفراش . ويبدو أن الطاهي كان ينام هناك . وكانت المائدة مغطاة بأطباق قذرة وبقايا طعام لم يســـتكمل .. بقايا تلك الوجبة التي شارك فيها مستر سكوت ايكلز في المساء السابق .

وقال باينس :

ـ انظر الى هذا ! .. ماذا تظن ان يكون !!

ورفع شمعته ليسمح لنا برؤية شيء غريب فوق أحد الدواليب .. كان شيئا أسود مخيفا جلدي المظهر في شكل طفل أو قرد ويحيط به رباطان من القواقع البحـــرية .

فقال هولمز :

شيء بالغ الاثارة ، بالغ الاثارة فعلا ، وهل هناك شيء آخر ؟

فقادنا باينس في صمت الى الجانب الآخر من المطبخ ورفع شمعته • وهناك فوق احدى الموائد الصغيرة رأينا أرجلا وأجنحة ورأس وجسم طائر أبيض كبير •• كان الريش لايزال هناك ، ولكن الطائر كان ممزقا الى قطع !

فقال هولمز :

ـ بالشدة الغرابة . انها حقا قضية بالغة الغرابة !

ويبدو أن باينس قد احتفظ بأكثر الأشياء رعبا حتى النهاية ، اذ انحنى وجذب دلوا من تحت المائدة الصغيرة وكان مملوءا بالدم !

ثم استطرد باينس قائلا :

ـ لقد وجدنا أيضا بعض العظام المحروقة ويبدو أن عنزة صغيرة قد ذبحت هنا ، عنزة صغيرة وطائر أبيض •

فقال هولمز :

ـ غرابة شديدة بالفعل ، غرابة شديدة ، والاثارة ، حسن ، لم يعد هناك المزيد لأفعله هنا ، أشكرك يامستر باينس .. عمت مساء وحظا سعيدا !

ولم يطلعنى هولمز على شيء من نتائج تحرياته خلال الأيام القليلة التالية .

وفى أحد الأيام قام هولمز بزيارة مكتبة لندن ، ولكنه قضى معظم الوقت فى المدينة وهو يتجول حول منطقة آشر ومنطقة أوكسشوت ، وتظاهر بأنه عالم يجمع النباتات النادرة ، ولكنه قضى عدة ساعات فى حوار مع أهل القرية ، وكان صندوق النباتات الخاصة به يكاد يكون فارغا على الدوام عندما يعود به فى الأمسيات الى فندق بال .

ومرت حوالى خمسة أيام على ارتكاب الجريمة ، فنحيت جريدتى الصباحية فلمحت عنوانا بالحروف الكبيرة يقول :

حل لغـــز اوكســـشوت

القبض على القـــاتل

وما أن قرأت ذلك لهولمز حتى قفز من مقعده وكأنما قد لدغته حشرة ثم صرخ قائلا :

– يا الهى ، اذن باينس قد أمسك به .

فأجبته :

– يبدو ذلك .

ثم قرأت له التقرير الذى ورد بالجريدة فى صوت عال :

(اثارة بالغة حدثت فى أشر والمنطقة المحيطة بها فى الليلة الماضية عندما تم القبض على رجل له علاقة بجريمة القتل التى حدثت فى أوكسشوت .. وقد يتذكر القارىء أن مستر جراسا من بنسيون ويستيريا قد وجد ميتا بالقرب من اوكسشوت فى الأسبوع الماضى ، وكانت

تبدو على جسده آثار عنف شديد ، وفى نفس الليلة اختفى خادمه وطاهيه .. ويشير هروبهما الى أن لهما علاقة بجريمة القتل ، ويعتقد البوليس أن الرجل الميت ربما يكون محتفظا بذهب أو مجوهرات فى المنزل وأن السرقة هى السبب الفعلى للجريمة ، وقد قام مستر باينس رجل البوليس بمجهودات كبيرة لتعقب الخادمين ويعتقد انهما لم يبتعدا كثيرا عن المنطقة ، وسيكون من السهل اكتشاف مكان اختفائهما . والطاهى بصفة خاصـــة كان رجلا ذا مظهر لافت للنظر ، فهو أجنبى أصفر وضخم وذو وجه ضخم شديد القبح وقد شوهد الرجل بواسـطة رجل البوليس والتر فى بنســـيون ويستيريا ، فى اليوم التالى للجريمة . وقد قرر مستر باينس أن يسحب رجاله من المنزل ويوجههم الى حيث اختفوا جميعا خلف الأشجار ، وقد توجه الطاهى الى هذه المصـيدة فى الليلة الماضية ، وقد أصـيب رجل البوليس داونتج اصابة بالغة أثناء هذه المعركة ، ولكن تم القبض على الرجل واقتيد الى مركز الشرطة . وقد

قيل لنا ان السـجين وجهت اليه تهمة قتل مستر جراسيا) ٠

فصرخ هولمز وهو يلتقط قبعته ويقول :

– يجب أن نرى باينس فورا ٠

كان المنزل الذى يقيم فيه باينس لا يبعد كثيرا عنا ، فأسرعنا خلال شارع القرية ووجدنا أنه كان على وشك الانصراف من مسكنه ٠

فقال لنا وهو يمسك باحدى الجرائد :

– هل رأيت الصحف يامستر هولمز ؟

– نعم يا باينس ، لقد رأيتها وأرجو ألا تغضب منى اذا وجهت اليك تحذيرا من صديق !

– تحذير يامستر هولمز ؟!

– اننى قد بحثت فى هذه القضيه بعناية وأعتقد أنك قد أخطأت ولا أريدك أن تقدم على عمل شىء مالم تكن متاكدا منه ٠

ـ انك لبالغ الحنو يامستر هولمز ٠

ـ انني أتحــدث فقط من منطلق مصـــلحتك الشخصية ٠

وبدا لي أن مســـتر باينس قد أغلق احدى عينيه الضيقتين لبرهة ثم أرسل ابتسامة خفيفة وقال :

ـ ان لك أساليبك الخاصة يامستر هولمز وأنا لي أساليبي !

فقال هولمز :

ـ أوه حسن جدا ، ولكن لا تلومني اذا ســـارت الأشياء في طريق خطأ ٠

ـ لا ياسيدي انني مؤمن بحسن نيتك ، ولكنني أتعامل مع هذه القضية بطريقتي الخاصة ٠

ـ اذن دعنا لا نضيف المزيد عنها ٠

ـ والآن أريد أن أخبرك عن الطاهي ، انه رجل شرس في مثل قوة حصان المركبة وفي شراسة الشيطان

وقد قضم اصبع داوننج تقريبا قبل أن يتمكنوا من السيطرة عليه . وهو لايكاد يتكلم كلمة انجليزية واحدة ولكنه يصدر أصواتا من حنجرته فقط مثل الحيوان !

– وأنت تعتقد أنه قد قتل سيده ؟

– لم أقل ذلك ياسيدى ، لم أقل ذلك ، كلنا لدينا طرقنا الصغيرة ، ويمكنك أن تسلك طرقك وأنا أسلك طرقى

وأثناء انصرافنا قال لى هولمز :

– إننى لا افهم باينس بالمرة ، ويبدو أنه اتجه اتجاها خاطئا تماما ، حسن .. فكل منا عليه أن يسلك طريقه الخاص كما ذكر وسنرى النتائج فى النهاية .

ولما عدنا الى حجرة جلوسنا فى فندق بال جذبنى هولمز نحو أحد المقاعد الوثيرة ثم قال لى :

– لدى الكثير مما أفضى به اليك فى هذه القضية ياواطسون .. فقد أحتاج الى معونتك الليلة .. وقبل

كل شيء. كنت افكر فى خطاب جراسيا الذى وصل فى مساء الجريمة ، ويمكننا أن نغفل فكرة أن خادمه له أى علاقة بموته ، لقد كان جراســـيا هو الذى دبر لاحدى الجرائم فى تلك الليلة ، وكان هو الذى دعا سكوت ايكلز هذا الشاهد الممتاز ، وكان هو الذى كذب عليه بشأن الموقف ، وأعتقد أن جراسيا مات أثناء تلك المغامرة الاجرامية . اذن من هو أكثر الأشخاص احتمالا لأن يقضى عليه ؟ لابد أنه بالتأكيد ذلك الشخص الذى دبرت ضده خطة جراسيا الاجرامية ويمكننا الآن أن نرى سببا لاختفاء خدم جراسيا ، فكلهم كانوا متضامنين معه فى خطته ، واذا كانت الخطة نجحت لكان جراسيا قد عاد ، ولكان سكوت ايكلز مفيدا له كشاهد ، وكل شيء من الممكن أن يكون طيبا ، ولكن المحاولة كانت خطيرة ، واذا لم يعد جراسيا فى وقت محدد فان الخدم سيعلمون أن من المحتمل أن يكون قد مات ، ولذا فقد تم الاعداد لأن يقوموا بالهرب فى هذه الحالة الى اماكن اختفائهم ، ومن خلال أماكن الاختفاء هذه يمكنهم أن

يقوموا بمحاولة أخرى لتنفيذ الخطة وهذا يوضح كل الحقائق بالكامل ، أليس كذلك ؟!

وأصبح اللغز الآن أكثر وضـــوحا بالنسبة لى وتعجبت مما يحدث لى دائما مع هولمز ، لماذا لم أفكر فى هذا التفسير بنفسى ؟ **واعترضت قائلا :**

ـ ولكن لماذا عاد أحـد الخـــدم الى بنســـيون ويستيريا ٠٠ ؟

ـ أعتقد أنه ربما أثناء الفرار دفعه الارتباك لأن يترك خلفه شيئا ، شيئا ثمينا لا يحتمل أن يفقده ، وهذا يوضح مغزى الزيارتين اللتين قام بهما ، أليس كذلك ؟

ـ أجل ياهولمز أنك محق ولكنك ســـتخبرنى عن مغزى المذكرة التى تسلمها جراسيا على العشـــاء ليلة الجريمة ٠

ـآه ٠٠ أجل هذه المذكرة توضح أن المرأة التى كتبتها كانت ضالعة فى هذه الخطة أيضا ، ولكن أين كانت هذه المرأة ؟ وقد أوضحت لك بالفعل أن المكان

لابد أن يكون أحد المنازل الضـــخمة وأن عدد المنازل الضخمة محدود • ومنذ أن وصلنا الى آشـــر قمت بمراجعة كل هذه المنازل وعمل تحريات حول ملاكها ومنزل واحد • واحد فقط هو الذى لفت نظرى بصفة خاصة وهو ذلك المنزل العتيق الشهير الذى يدعى هاى كابل وهو على بعد أقل من نصف ميل من المكان الذى وجدت فيه جثة جراسيا ، أما المنازل الأخرى فتخص أشخاصا عاديين من ذلك الطراز القديم والذين لايحدث لهم عادة مثل هذه الأحداث المثيرة ، أما مستر هندرسون الذى يتبعه منزل هاى كابل ، فهو رجل غير عادى ، وهو بالتأكيد رجل يميل الى المغامرات العجيبة لذلك قررت أن أوجه كل اهتمامى نحو مستر هندرســـون ومنزله •

وقد وجدت أنهم مجموعة غـــريبة من البشـــر ياواطسون ، والرجل نفسه هو أكثرهم غرابة ، وفكرت فى تدبير سبب يتيح لى طلب رؤيته ، ولكننى أعتقد انه استنتج غرضى الحقيقى ، وهو فى حوالى الخمسين من

عمره ، قوى ونشط وذو شعر رمادى ، وأهداب سوداء كثيفة وله زوج من العيون السوداء العميقة القلقة وهو رجل شرس صلب ومسيطر كأنه ملك ، وهذا الرجل اما ان يكون اجنبيا أو انه قد قضى معظم حياته فى بلاد شديدة الحرارة اذ أن وجهه يشبه الجلد الأصفر ، ولكن لاشك أن مستر لوكاس صديقه وسكرتيره رجل اجنبى اذ أن وجهه في لون الشيكولاته باللبن ، وهو رجل كالقط فى مظهره وذو صوت مهذب وشديد اللطف ، ولكنه شيطانى التكوين تماما ، انتى متأكد من ذلك ، أترى ياواطسون اننا الآن نعرف مجموعتين منفصلتين من الأجانب احداهما فى ويستيريا والأخرى فى هاى كابل ، وأعتقد أننا سنجد الحل لهذا اللغز من خلال العلاقة التى تربط بين هاتين المجموعتين ، هاندرسون ولوكاس اللذان هما أصدقاء مقربين جدا ويعتبران مركزا لسكان منزل هاى كابل ، اذ لا يوجد شخص آخر يمكن أن يشكل أى أهمية بالنسبة لتحرياتنا الحالية .
وهندرسون لديه ابنتان صغيرتان ، احداهما فى الثالثة عشرة من عمرها والأخرى في الحادية عشرة من

عمرها ، وتقوم بالتدريس لهما سيدة تدعى مس بورنت وهى امرأة انجليزية فى حوالى الأربعين من عمرها ، واننى مهتم بمس بورنت بصفة خاصة ياواطسون ، كما يوجد هناك أيضا أحد الخدم المقربين جدا للسيد وهو رجل .

هذه المجموعة الصغيرة تكون عائلة حقيقية ، فهم يســـــافرون جميعا معا ، وهندرسون رحالة كبير وهو لا يمل من الرحيل ، بالاضافة الى أنه لم يعد الا منذ بضع أسابيع قليلة ماضية فقط بعد أن ظل بعيدا مايقرب من عام تقريبا ، وهو كما ترى بالغ الثراء ، ويمكنه أن يلبى أى رغبة بمجرد أن يشعر بها .

والمنزل ياواطسون يمتلىء بالخدم الآخرين من كل نوع وأنت تعرف كيف تكون مجموعة العمل فى منزل ضخم بالريف الانجليزى ، فهم يقومون بتأدية القليل جدا من العمل ولكنهم يأكلون اللحم أربع مرات فى اليوم ، على أن الخدم يمكن أن يكونوا ذوى نفع بالغ للمخبر ، ولاتوجد وسيلة أفضل من عقد صداقة مع واحد منهم

للحصـــول على المعلومات • وقد كنت محظوظا بحيث عثرت على بستانى سابق لهندرسون يدعى جون وارنر، وقد فصله هندرسون اخيرا فى لحظة غضب ، ومن حسن الحظ أن وارنر لايزال يحتفظ بأصدقاء من بين خدم هاى كابل الذين يكرهون سيدهم جميعا ، كما أنهم يخافونه خوفا شديدا ، وهكذا حصلت ياواطسون على مفتاح لكل أسرار أهل هذا المنزل •

وكم هو عجيب هذا المنزل ياواطسون ، اننى لم أفهم كل شىء بعد ، ولكنه بالتأكيد منزل عجيب، فالمنزل مكون من جناحين ، يعيش الخدم فى جانب وتعيش العائلة فى الجانب الآخر ، والاتصال الوحيد بين جانبى المنزل يتم من خلال خادم هندرسون المقرب وهو الوحيد الذى يسمح له بتقديم وجبات الطعام للعائلة •

وكل شىء يتم حمله الى باب معين فى جناح الخدم وهو الباب الوحيد المتصل بالجناح الآخر للمنزل ، اما البنات ومدرسـتهم فمن النادر أن يخـرجن الا الى الحديقة ، وهندرسون لا يخرج بمفرده ابدا ، اذ أن

سكرتيره الأسمر يلازمه كظله ،ويقول الخدم ان سيدهم يرتعد خوفا من شيء ما ، ويقول وارنر ان سيده قد باع روحه للشيطان مقابل المال ، وأن السيد يخشى أن تنفتح الأرض ويخرج الشيطان من الجحيم لمطالبته ، ولا أحد يعرف ماهو مسقط رأس عائلة هندرسون أو من يكونون انهم أشخاص فى منتهى العنف ، فقد حدث مرتين أن قام هندرسون بضرب الناس بسوطه ، وكان عليه أن يدفع لهم مبلغا كبيرا من المال مقـــــابل الا يتقدموا للمحاكم .

حسن ياواطسون ، الآن يجب أن تساعدنا كل هذه المعلومات فى الحكم على الموقف ، ويبدو من المؤكد أن الرسالة قد خرجت من هذا المنزل الغريب ، وأعتقد أنها كانت دعوة لجراسيا لأن يقوم بعمل احدى المحاولات التى تم التخطيط لها مسبقاً ، من يســـتطيع ان يكتب المذكرة ؟ .. انه كان شخصا داخل المنزل ، وكانت امرأة ، ألا يمكن أن تكون مس بورنت المدرســـة هي الشخص الوحيد المناسب ؟

.ويبدوا ن كل مناقشاتنا كانت تدعم هذه الفكرة . الا أن مس بورنت وأخلاقها تجعل من فكرة وجود علاقة عاطفية امرا شبه مستحيل • واذا كانت قد كتبت المذكرة فلابد أنها مشتركة فى خطة صديقها جراسيا ، لذا لابد الآن قد مات وهو يحاول تنفيذ هذه الخطة ، لذا لابد أنها شعرت بمرارة بالغة وكراهية ضد أعدائهم ، ولابد أنها تريد الانتقام ياواطسون ، فهل يمكن أن نراها الآن، ونحاول أن نستخدمها ؟!

كانت هذه هى فكرتى الأولى ، ولكن مس بورنت لم يشاهدها أحد منذ الليلة التى تم فيها القتل ، لقد اختفت تماما ، فهل مازالت على قيد الحياة ؟ أم أنها ربما قد قتلت فى ليلة مقتل جراسيا ؟ أم أنها سجينة فى مكان ما ؟ واذا كان الأمر كذلك فان حياتها قد تكون فى خطر، وللأسف فان البوليس لا يستطيع أن يساعدنا ، وهنا ، لن يكون من السهل استخراج اذن تفتيش ، فنحن لازلنا نفتقر الى دليـــل ، لذا فاننى أراقب المنزل وقد عينت وارنر ليقف حارسا على البوابات •

الا اننا لن نستطيع أن نترك هذا الوضع يستمر ، واذا كان القانون لايستطيع أن يفعل شيئا فعلينا نحن ان نخاطر بأنفسنا .

فسألت هولمز :

– وماذا تقترح ؟

– اننى أعرف موقع غرفة مس بورنت وهنـــاك سقف منخفض خارج النافذة ، واقتراحي هو ان نذهب معا الى هناك الليلة ونتسلق هذا السقف .

لم تبد لى هذه الفكرة جذابة ، وتصـــورت هذا المنزل العتيق ومالكه المرعب وعـــلاقته بالموت العنيف الأمر الذى جعلنى اتردد ، كما أننى لم اكن فى الحقيقة أريد أن أخرق القانون ، على اننى لا أستطيع ان أرفض لهولمز أى شىء ، وأسبابه تقنعنى دائما ، وكنت أعلم فى هذه المرة أن خطته هى السبيل الوحيد لحل لغز وفاة جراسيا ، فشددت على يده فى صمت لأوضح له اننى ساكون مستعدا لهذه المغامرة المتوحشة !

ولكن تحرياتنا لم تحمل مثل هذه النهاية الخطيرة ،

كانت الساعة حوالى الخامسة من مساء احد أيام شهر مارس واذا بأحد الرجال الفلاحين يندفع فى انفعال داخل حجرة جلوسنا ، **ويصرخ قائلا :**

ـ لقد رحلوا يامستر هولمز ، ذهبوا بالقطار الأخير أما السيدة فقد احضرتها معى الى هنا فى مركبة .

صرخ هولمز وهو يقفز على قدميه قائلا :

ـ ممتاز ياوارنر ، ستعرف الحل حال ياواطسون !

كانت المرأة التى فى المركبة تبدو فى غاية الضعف والتعب ، وكان رأسها ملقى على صدرها ولكنها رفعت رأسها فى بطء لتنظر الينا ، كان وجهها نحيفا وحزينا وفى منتصف كل من عينيها الكئيبتين لمحت علامات تعاطى الأفيون ، لقد كانت مدمنة .

وقال وارنر :

ـ لقد راقبت البوابة كما طلبت منى يامستر هولمز ،

وعندما خرجت العربة تبعتها حتى المحطـــة ، وكانت السيدة تبدو مثل شخص يسير وهو نائم ولكن ما ان حاولوا ادخالها الى القطار حتى عادت اليها الحياة وقاومت بشدة ، فدفعوها للداخل ولكنها شقت طريقها للخارج مرة أخــرى ، فالتقطت يدها وســـاعدتها ثم وضعتها فى مركبة ، وهانحن أمامك ، ولن أنسى ابدا وجه السيد الذى كان يطل من نافذة ذلك القطار ، فقد رأيت القتل يطل من عينيه ، ذلك السيد الشيطان الأصفر ذى العيون السوداء .

وتعاونا جميعا على حمل مس بورنت حتى الدور العلوى ثم وضعناها فى احد الأسرة ، وسرعان ما قام قدحان من القهوة المركزة بعمل اللازم نحو جلاء العقل من أثر مخدر الأفيون .

أما مستر باينس الذى ارسلنا فى طلبه وحضر على الفور فقد أخذ يصافح هولمز وهو يقول :

ـ أداء جيد يامستر هولمز ، لقد كنت أشـــم نفس الرائحة معك من البداية .

- ماذا ؟ أكنت فى أثر هندرسون ؟

- هذا صحيح ، بينما كنت أنت مختبئا فى الحديقة بهاى كابل كنت أنا فوق احدى الشجرات ورأيتك واقفا أسفل على البعد .

- اذن لماذا قبضت على طاهى جراسيا ؟

فضحك باينس وقال :

- اننى قبضـــت على الرجل الخطأ حتى اجعل هندرسون يشعر بأنه فى أمان ، ويعتقد أننا لانراقبه ، وكنت أعلم انه على وشك الهرب حينئذ ، وهذا يمنحنا الفرصة فى الامساك بمس بورنت .

- أخبرنى يا باينس من هو هندرسون ؟

- هو فى الحقيقة جان ماريللو الذى عرف فى يوم من الأيام باسم حيوان سان بيدرو ، وكان حاكما أمريكيا مركزيا شريرا ، وقد هرب من سان بيدرو بعد الثورة ، وأخذ معه العديد من الثروات الوطنية .. وكان لصا قاسيا لايخاف ومكروها من كل الناس .

وقد اختفى تماما ولم يتوصل احد من اعدائه الى مكانه ، ولكنهم كانوا يريدون الانتقام ، ولم يهدأ لهم بال حتى تمكنوا من العثـــور عليه • وكانت الألوان القومية لسان بيدرو هى اللون الأخضر والابيض كما فى رسالة مس بورنت وقد أطلق موريللو على نفسه اسم هندرسون ولكن كانت له أسماء اخرى كثيرة فى باريس وروما ومدريد وبرشلونة وعندما وصلت باخرته الى جنوب افريقيا فى عام ١٨٨٦ ، وقد أكتشف اعداؤه مكان اختفائه مؤخرا فقط •

فقالت مس بورنت التى جلست منتصبة وهى تسمع فى انتباه جاد :

– لقد اكتشفوه من عام مضى ، وقد قتل النبيل جراسيا فى هذه المرة ولكن لن يمضى طويلا حتى تنجح خطتنا وسيلقى حيوان سان بيدرو حتفه ، وكانت يداها النحيفتان تنقبضان من جراء عنف الكراهية التى تحملها لهذا الرجل •

فسألها هولمز :

ـ ولكن لماذا اشتركت فى مثل هذه الأمور السياسية الأجنبية يامس بورنت فالمرء لا يتوقع أن يجد سيدة انجليزية تتورط فى خطط أو عملية قتل ·

فصرخت قائلة :

ـ يجب أن يكون لى دور ، فمن خلالى سيتم معاقبة هذا المجرم وتطبق عليه قوانين العدالة ، لقد قام بعدة عمليات قتل واستولى على كنوز عديدة ، ان سرقاته وجرائم القتل التى ارتكبها تعتبر بالنسبة لك كالجرائم التى حدثت فى كوكب من الكواكب الأخرى ، ولكننا نعرف ، لقد تعلمنا الحقيقة من خلال الحزن والمعاناة ، بالنسبة لنا لا يوجد شيطان فى الجحيم فى مثل شر جان موريللو ، وبالنسبة لنا لا يمكن أن يكون هناك سلام قبل أن نحصل على انتقامنا ·

فقال هولمز :

ـ لاشك أنه كان حاكما شريرا ، ولكن كيف اشتركت أنت فى عملية ولاية سان بيدرو ؟

ـ ساخبرك بكل شيء ، ان اسمى الحقيقى هو مسز فيكتور دوراندو ، وزوجى كان مندوبا لحكومة سان بيدرو فى لندن ، وقد قابلنى وتزوجنى فى هذه المدينة آه .. لقد كان انسانا نبيلا ، ولأنه كان شديد النبل فقد أطلق عليه ماريللو الرصاص بعد أن انتزع كل أملاكه أيضا . ثم جاءت الثورة ، وتكونت الجمعية السرية بغرض معاقبة جان ماريللو على كل جرائمه التى ارتكبها ، وأخيرا استطعنا أن نتبين أن مستر هندرسون من هاى كابل فى أوكسشوت هو فى الحقيقة حيوان سان بيدرو ، وقد كلفت بأن التحق بالعمل فى خدمته وأن أراقب كل تحركاته ، وكنت أضحك فى وجهه وأقوم بواجبى نحو أولاده ، وانتظرت وكانت الجمعية قد قررت قتله فى باريس من قبل مرة ، ولكن المحاولة فشلت ولم يكن من السهل تخطيط انتقامنا ، وكان مستر جراسيا وخادماه الاثنان من الذين قاسوا من جراء

حكم موريللو الشيطانى وقد وفدوا على هذه المنطقة ولكن جراسيا لم يستطع أن يفعل شيئا كبيرا خلال هذا اليوم ، اذ أن الحيوان كان شديد الحرص ، وهو لايخرج بمفرده أبدا وانما يخرج دائما مع صديقه لوكاس والذى هو فى الحقيقة يدعى لوباز الا أنه ينام بمفرده ليلا ، وهذا أعطانا فرصتنا ، وقد دبرنا للقيام بمحاولتنا خلال الأمسيات ، وكان موريللو كثيرا مايقوم بتغيير حجرة نومه ، لذا كان من الضرورى ارسال مذكرة لجراسيا فى نفس يوم الخطة ، واشارة من الضوء الأخضر فى النافذة تعنى أن الأبواب مفتوحة وأن هناك أمان ، أما الضوء الأبيض فمعناه لا تدخل اليوم .

ولكن كل شىء سار فى الطريق الخطا بالنسبة لنا، فالسكرتير لوباز بدا يشك ، وزحف خلفى وأنا أكتب المذكرة ثم وثب على فور انتهائى من كتابتها ، وجذبنى هو وسيده الى حجرتى ثم تناقشـــا فى القيام بقتلى بخناجرهم فى الحل أم لا . وفى النهاية استقر رايهما أن ذلك سيكون بالغ الخطورة ، ولكن جراسيا يجب أن

يموت ، ولوى موريللو ذراعى حتى أعطيتهم العنوان وقام لوباز بوضع العنوان على المذكرة التى كتبتها من قبل ثم أرســـلها مع خادمه الأمين جوزيه ، ولابد أن موريللو قد قام بعملية القتل ، اذ أن لوباز ظل معى ليحرسنى .

وبعد هذه الليلة الفظيعة ، أغلقوا باب حجرتى .. آه .. لقد عاملونى بمنتهى القسوة ، انظر الى هذه العلامات الحمراء على ذراعى ، لقد حاولت مرة أن انادى من النافذة ولكنهم كمموا فمى بقماش سميك ، واستمرت هذه المعاملة القاسية لمدة خمسة أيام ، وكانوا يقدمون لى الطعام بالكاد ، وظهر اليوم أحضروا الى وجبة طيبة ولكن لابد أنها كانت تحوى مخدر الأفيون وكانت الرحلة الى المحطة تشبه الحلم ، ولكنى نشاطى عاد الى فى المحطة واستطعت أن أفلت بعيدا بمساعدة ذلك البستانى الطيب .

وبعد حوالى ستة أشهر من هذه الحادثة تعرض

لورد مونتالفا وسكرتيره مستر روللى للقتل فى حجراتهم بفندق اسكوريال بمدريد ، ولم يقبض على القتلة أبدا .

وحضر مستر باينس لرؤيتنا فى شارع بيكر واطلعنا على تقرير الجريدة ، وكان وصف الرجلين يوضح حقيقة شخصيتهما لقد تحقق العدل أخيرا بالنسبة الى كل من موريللو ولوبيز .

فقال هولمز بعد ذلك :

ـ انها لم تكن قضية منظمة تماما ياواطســـون ، ولكن كل شىء يبدو واضحا الآن ياواطسون ، أليس كذلك ؟

فأجبته قائلا :

ـ اننى لازلت لا أفهم لماذا عاد الطاهى الى بنسيون ويستيريا ؟

فقال هولمز :

ـ هناك بعض المعتقدات الدينية الغريبة فى ولاية سان بيدرو ياواطسون ، فربما تكون قد سمعت عن

احداها التي تسمى « الفودو » ؟ ٠٠ ابحث عنها في هذه الموسوعات ٠

فبحثت حتى وجدت الحرف « ف » وقرأت النص وكان أكثر أجزاء هذا النص أهمية هو :

« في « الفودو » يجب تقديم قرابين خاصة معينة لاسعاد الآلهة ، والقرابين المعتادة هي طير ابيض يتم تمزيقه الى قطع وهو لايزال حيا ، وعنزة سوداء تذبح ويحرق جسمها ٠٠ »

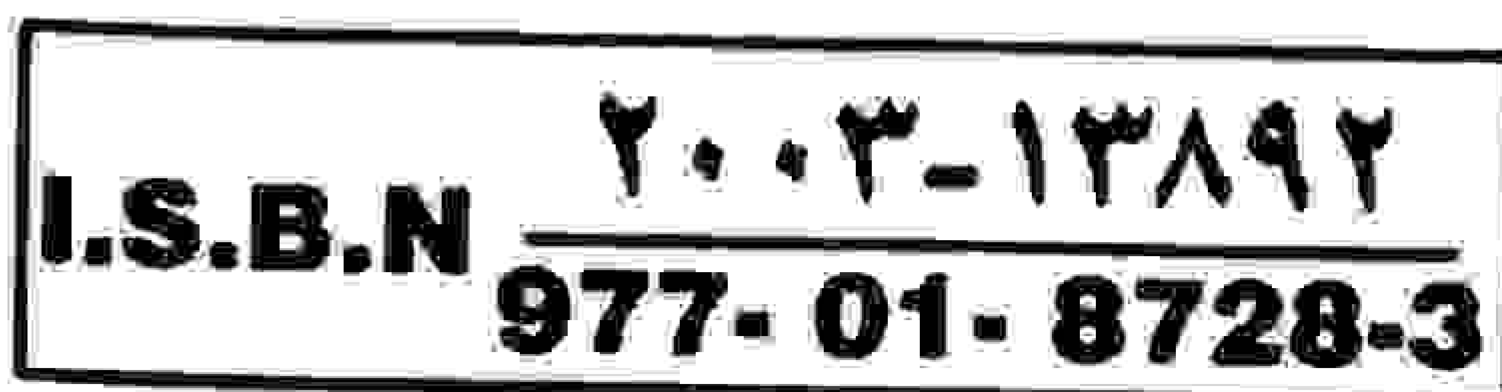
فرفعت رأسي من الموسوعة وتساءلت :

ـ ولكن ماذا عن الطفل الأســـود الجلدي الذي وجدناه ٠

فأجاب هولمز :

ـ آه ٠٠ ان هذا كان أحد آلهة الطاهي ٠٠ !!

الفهرس



رقم إيداع

٢٠٠٣-١٣٨٩٢

I.S.B.N 977-01-8728-3

أبي فراس



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية.

سوزان مبارك



التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

السعر
١٠٠ قرش